الباب الأول

أخبار الأنبياء

obeikan.com

1 ـ خَبَـرُ النَّبِـيِّ هَابِيْـلَ (υ).

2 ـ خَبَـرُ النَّبِـيِّ نُـوْحَ (υ).

3 ـ خَبَـرُ هِـرْمسَ الهَرَامِسَـةِ (υ).

4 ـ خَبَـرُ نَبِـيِّ اللهِ صَـالِحَ (υ).

5 ـ خَبَـرُ النَّبِـيِّ إِبْـرَاهِيْمَ (υ).

6 ـ خَبَـرُ النَّبِـيِّ إِسْـمَاعِيْلَ (υ).

7 ـ خَبَـرُ النَّبِـيِّ يُوْسُـفَ (υ).

8 ـ خَبَـرُ النَّبِـيِّ أَيُّـوبَ (υ).

9 ـ خَبَـرُ النَّبِـيِّ لُـوْطَ (υ).

10 ـ خَبَـرُ النَّبِـيِّ موْسـى (υ).

11 ـ خَبَـرُ النَّبِـيِّ الخَضِـر(υ).

12 ـ خَبَرُ النَّبِـيِّ ذي الكَفَلِ (υ).

14 ـ خَبَـرُ النَّبِـيِّ سُـليمانَ (υ).

15 ـ خَبَـرُ النَّبِـيِّ يَحْيـى (υ).

16 ـ خَبَـرُ السَّـيد المَسـيحِ (υ).

17 ـ خَبَـرُ النَّبِـيِّ محمّـد (J).

1 ــ خَبَرُ النَّبِيِّ هَابِيْلَ (عليه السلام)

هو هابيل بن آدم (ʊ)، أوَّل أبناء آدمَ أبي البشر، ويعني اسمُ هابيل: الشريفُ الكاملُ الأرجحُ، وُلِدَ في اليوم الرابع من الشهر مع أختٍ له في بطن واحدٍ، ثمّ وُلِدَ قابيل مع أختٍ له، ولكي يتمّ تكاثر البشر، ويستمرّ جنسهم أمر اللّهُ سبحانه وتعالى آدمَ أن يعتبرَ كلَّ بطن أخوةً حيث كان يُولّدُ في كلّ بطنٍ ذكرٌ وأنثى، ولّما كانت الأنثى التي وُلِدَتْ مع قابيلَ جميلةً، لم يرضَ أن يزوّجها لأخيه هابيلَ، وقال: أنا مَنْ سأتزوّج بها. حاول النبي هابيلَ (ʊ) مَنْعَهُ عن معصيةِ أمْرِ اللّهِ بقوله: ما أمرَ اللّهُ بهذا. فتنازعا لوالدهما ليُحلَّ بينهما الخلافَ، فقال آدم لهما: قرِّبا للّهِ قرباناً، فإني لا أريد بينكما الفتنة والخلاف فمنْ قَبِلَ اللّه قربانَه يُتبع رأيُه.

ثمَّ إنّهما مَضَيا إلى المذبح يتوسّلانِ إلى اللّه تعالى قبول القربان، وقدَّم هابيل (ʊ) أجودَ وأفضلَ ما عنده من الخراف التي كان يرعاها، فتَقبَلَ اللّهُ قربانَه لِطيْبِ نفْسِهِ، وصِدْقِ طَوِيَّتِهِ، وقدَّمَ قابيلُ زروعاً فاسدةً وخضراواتٍ غيرَ جيدةٍ، لأنَّ نفسَهُ كانت تعاف تقديم الخير، فلم يقبل اللّهُ تعالى قربانه. فلمّا رجَعَا إلى أبيهما قال لهما: ما كان من خبركما؟ فأخبراه بالخبر، فهنَّأَ آدمُ (ʊ) هابيلَ على قبول قربانه ونفسِه الطيّبةِ الصادقة، وعزّى قابيل على رَفْضِ قربانه، وقال له: يا بُنيَّ! تُبْ إلى ربّك واطلبْ منه أن يغفر لك ويسامحكَ. لكنَّ قابيل اللعين كانت نفسُه مليئةً بالشرِّ، فنوى شرّاً لأخيه وأضمر أن يقتلَه، حسداً له، وحُبّاً بالدنيا. فأتى قابيلُ إلى هابيل (ʊ) فوجده ساجداً في محرابه يصلّي للّهِ خاشعاً متعبِّداً، فضربه بحَجرٍ على رأسه وقَتَلَهُ[1]. وقد كانت هذه أوّلَ جريمةِ قتْلٍ بين البشر، وكان دمُ هابيل (ʊ) أول دمٍ يراق بين أبناء آدم، فاحتار قابيل وقد رأى ما فعلته يداه ماذا يفعل، فحَمَلَ أخاه على ظهره، وسارَ به لا يدري كيف يتصرّف، حتى أرسلَ اللّهُ سبحانه طائرَين،

(1) البداية والنهاية. ابن كثير الدمشقي. المجلد الأول. الجزء الأول. ص /125/.

فقام أحدهما بقَتْلِ الآخر ثمَّ جعَل يحفُر الأرض، ورمى بالطائر المقتول ودَفَنَه ورَدَمَ فوقه الترابَ، فتعلّم قابيلُ ممّا رأى، فقام بدَفْنِ أخيه في الأرض، وسار تائهاً في الأرض. وكان قَتْلُ هابيلَ بجبل قاسيون، وهو جبل مُشْرِفٌ على دمشق من جهتها الشمالية، وفيه مغارات وكهوف استخدمها العُبَّاد والصالحون فيما بعد للعبادة والاعتزال. وقيل أنّ الأرض لمّا شربت من دم السيد هابيل (U) تبدَّلَ لونها وتغيَّرت بهجتُها، وتغيّرت أشجارها وأنهارها.

وكان مدفنُه على جبل عالٍ لا ماء فيه ولا شجر، فأنْبَتَ اللّه سبحانه وتعالى حولَ مدفَنِهِ ثلاث سنديانات وفجَّرَ عينَ ماءٍ عَذْبَةٍ ما تزال إلى يومنا هذا، وقد بُني فيما بعد حول قبره ضريحٌ يُزَار، ويُتَبارك به. وقِيْلَ أنّ آدمَ عليهِ السلامُ لمّا عَرَفَ خبرَ مَقْتَلِ هابيلَ (U) قالَ بعضَ العباراتِ بلُغَتِهِ التي فَطَرَهُ الخالقُ عليها، وقِيْلَ في مضمونِ ما قالَهُ بعضُ الأبياتِ ولا يُعرفُ قائلُها:

بَكَـــتْ عَيْنِـــي وَحُـــقَّ بُكَاؤُهَـــا
دَمْـــعُ العَـــيْنِ مِنْهَـــا يَسِـــيْحُ

وَمَـــا لـــي لاَ أَجُـــودُ بسَـــكْبِ دَمْـــعٍ
وَهَابيـــلُ تَضَـــمَّنَهُ الضَّـــرِيْحُ

وَلَسْـــتَ بمَيِّـــتٍ بَـــلْ أَنْـــتَ حَـــيٌّ
وَقَابيـــلُ الشَّـــقِيُّ هُـــوَ الطَّـــرِيْحُ

عَلَيْـــهِ السُّـــخْطُ مِـــنْ رَبِّ البَرايَـــا
وَأَنْـــتَ عَلَيْـــكَ تَسْـــلِيمٌ صَـــرِيْحُ

وهذا ما انتهى إلينا من خبرِ السّيِّدِ الطاهرِ هابيلَ عليه السلامُ، والحمد للّهِ وحدَهُ لا شريكَ له، لَهُ الحمدُ ولهُ المُلْكُ وهوَ على كل شيءٍ قديرٌ.

2 ـ خَبَرُ النَّبِيِّ نُوْحَ (عليه السلام)

عاش نبي اللّه نوح عليه السلام، بعد وفاة أبي البشر آدم عليه السلام بما يقارب المئتين والخمسين سنة، وبقي لفترة طويلة جدّاً يدعو الناس إلى عبادةِ اللّه عزَّ وجلَّ وتوحيده، لكنَّهم لم يستجيبوا لدعوته، واستمرَّ رغم معاندتهم وطغيانهم في الدعوة لترك ما هم عليه من عبادة الأفلاك والأصنام، إلاَّ بعض منهم آمنوا بدعوته وبربِّه الواحد القهَّار.

وكان أوَّلُ من آمَنَ به امرأةً يقال لها «عَمْرَة»، فتزوّجها نوح (ʊ) وأنجبت له ثلاثة أولادٍ هم: سَامٌ وَحَامٌ وَيَافثٌ، ثمّ تزوّج بامرأةٍ أخرى آمنت به فولدت له ولدين هما: بَاكُوس وكَنْعَان.

وبقي نوح (ʊ) يدعو قومه أكثر من ثلاثمئةٍ وخمسين عاماً، ورغم ذلك لم يستجب له إلاّ قلّة من الناس، وبقي الأكثريةُ كافرين يعبدون الأصنام، ويسيرون وراء أهوائهم إلى أن أوحى اللّه سبحانه وتعالى إلى نوح أنّه لن يؤمنَ به من قومه إلاَّ مَنْ قد آمَنَ به[1]، وأنّ اللّه سبحانه أراد إهلاك مَنْ على سطح الأرض، الذين فاضت شرورهم، وأمَرهُ أن يبني سفينة له ولقومه وينتظر الإشارة.

ولمّا لم يكن نوح يعرف ما هي السفينة (الفُلْك)، أوحى له اللّه سبحانه شكل الفُلْك، وطريقة صُنْعه، فبدأ نوح (ʊ) بغرس الأشجار، وانتظر أربعين سنة حتى كَبُرَتْ وضخمت، وقومه يمرّون به ساخرين هازئين بعد أن كَفَّ عن دعوتهم عندما علم أنَّه لن يؤمن به أحد آخر مجدّداً. ثم بدأ نوح (ʊ) يقطع الأشجار، وانتحى مكاناً بعيداً عن قومه، وعن شاطئ البحر كما أمره اللّه سبحانه وشرع في بناء

---

(1) قال تعالى(وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلاَّ مَن قَدْ آمَنَ فَلاَ تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ {36} وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ {37}) هُود

الفُلْك. وكان كلّما مرّ به أحد من الكافرين يسخر من عمله في بناء الفلك وفي بعده عن شاطئ البحر، لكنّ نوحاً كان يُعْرِض عن أقوالهم ويصبر ويتحمّلُ.

ولكنْ ما لم يتحمّله نوح من قومه الكافرين إقدامهم على جعل السفينة قبل أن تكتمل مرحاضاً يلقون بها قاذوراتهم ونجاستهم، واستمرّوا على ذلك مدّة طويلة ونوح ينهاهم وهم لا يستجيبون له، فتوقف نوح عن عمله ونادى ربَّه شاكياً: «**رَبِّي أَنْتَ تَرَى وتَعْلَمُ مَا يَفْعَلُون، فَخُذْ بيَدِي عَلى القَومِ الظَّالمِيْنَ**». فأنزل الله سبحانه عليهم وباءً شديداً شوَّه أجسادهم، وتقرَّحت جلودهم، فصاروا يعانون من هذا الوباء الذي لم يجدوا له علاجاً، وقد أُصيب به رجالهم ونساؤهم وأطفالهم وحتى مواشيهم وحيواناتهم، ونجا منه فقط الذين آمنوا بنوح ودعوته، وقد حَدَث أنّ كلباً مريضاً مثلهم دخل السفينة وعلقت به النجاسة فشفي من مرضه، فلمّا شاهدوا ما حصل أقبلوا على قاذوراتهم ونجاستهم التي وضعوها في السفينة يدهنون بها أجسادهم حتى شفوا من مرضهم وتوافدوا من كل الأمكنة حتى فرغت السفينة، وعادت نظيفة أكثر ممّا كانت. ثم أوحى الله سبحانه لنوح أن يكمل إتمام الفُلْك ويسرع لأنّ غضب الله سبحانه وعقابه على القوم الكافرين قد اقترب.

فعمد نوح إلى استئجار عمّال يساعدونه مع أولاده الثلاثة سام وحام ويافث، وتخلّف كنعان لأنّه لم يكن مؤمناً بدعوة والده، وأمّا باكوس فكان قد توفي قبل فترة من بناء السفينة.

ولمّا انتهى نوح من بناء السفينة العظيمة كانت آيةً من الضخامة والإعجاب، فقد كان طولها ما يقارب الألف ومئتي ذراع، وعرضها ما يقارب الستمئة ذراع، أما ارتفاعها فكان ثلاثين ذراعاً، وجعل لها باباً في عرضها. وبناها على ثلاث طبقات: طبقة للناس وهي العليا، وطبقة وسطى للأنعام والدواب، والسفلى للهوام[1] والوحوش. وفجّر الله سبحانه عيناً من القار[2] بجانب السفينة وأوحى لنوح أن يطلي

---

(1) الهوام: الحيوانات والطيور البريّة كالإبل والغزلان وغيرها .....

(2) القَارُ: الإسفلت. أحد منتجات البترول الثقيلة، كما يوجد في الطبيعة متشرّبة به الصخور

خشب السفينة به. ولما اقترب موعد الطوفان أمر الله سبحانه نوحاً أن يحمل معه من كل مخلوق زوجين، فقال نوح متسائلاً: وكيف أصنعُ بالأغنام والذئب وغيرها؟ فقال تعالى: (**مَنْ ألقى بينها العداوة قادرٌ على أن يؤلِّفَ بينها حتى لا يَلْحَق الضعيفَ ضررُ القوي**).

فوضع نوح السباع مع فرائسها المعتادة في الطبقة السفلى، وألقى الله سبحانه على السباع الحمّى فجعلها تنشغل بنفسها عن فرائسها، ثم أدخل نوح أهله وأولاده ومَنْ آمنَ به، فكانوا ثمانين شخصاً، باستثناء ابنه كنعان الذي رفض دخول السفينة مع المؤمنين فقال له نوح: «**يا بُنيَّ اركبْ معنا ولا تكنْ مع الكافرين، لأنّ كلّ منْ سيتخلَّف عن السفينة سيغرق**».

فقال كنعان محتقراً كلام أبيه: سآوي إلى جبل يعصمني الماء. فقال له نوح: «**يا بُنيّ لا عاصمَ اليومَ من أمرِ الله إلاَّ مَنْ رُحِمَ، فإنْ تؤمنْ بالله وتأتِ إلى السفينة وتركبْ معنا فهو خيرٌ لكَ**». لكن كنعان لم يستمع لكلام والده، وصعد تلّةً اعتقد أنّها تنقذه من غضب الله. وكان دخول الناس إلى السفينة بأمر من نوح عند الإشارة التي تلقّاها من ربّ العالمين، وهي فوران التنّور المُعدّ لصنع الخبز بالماء[1]، وهذه عبرة للناس قبل أن يحلّ أمر الله، ولكن هيهات أن يستجيب الكافرون ويتّعظوا ويعتبروا...!

ولمّا بدأتِ السماء تمطر أمطاراً غزيرة، وتفجرّتِ العيون من الأرض أخذت المياه تزداد وتكثر بسرعة عجيبة، وبقيت الحال على ما هي عليه أربعين يوماً، وقد وصلت المياه إلى السفينة التي كان نوح قد وضعها على سفح تلّة بعيدة عن البحر، ولمّا بَدأَ الماء يرتفع وكنعان خارج السفينة، وأيقن نوح هلاك ابنه رغم ما فعله كنعان معه، بالكفر والعصيان، رغم ذلك راح نوح يستعطف ربَّه ويتوسَّل إليه أن ينقذ ابنه، لكنَّ الله سبحانه كان يعلم بالسرائر فلم يقبل رجاءه، وقال له: يَا نوحُ

---

(1): **قال تعالى:(حَتَّى إِذَا جَاء أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ {40}**). هُود.

إنَّه ليْسَ مِنْ أهْلِكَ، إنَّه عملٌ غيرُ صَالحٍ. فاستغفر نوحٌ ربَّه وترك ابنه يلاقي مصير الكافرين أمثاله.

وسارتِ السفينة على سطح الماء، في أمواج كالجبال، وارتفع الماء فوق كل شيء، وغطَّى الجبال، ونوح (U) وأصحابه المؤمنون في السفينة آمنون، يحمدون ربّهم ويشكرونه على نعمته عليهم. واستمرَّت السفينة في بحر الماء حتى لم يبق مخلوق على الأرض على قيد الحياة. ثمّ أمر الله سبحانه الأمطار فتوقّفت، والينابيع توقّفت عن تفجّرها، والسفينة على سَيْرِها لا يوقفها عائقٌ، وكان نوح إذا أراد أن يوقف السفينة عن السير يقول: «**باسمِ اللهِ مَرْسَاهَا**» فتقف، وإذا أرادها أن تسير يقول: «**باسْمِ اللهِ مَجْرَاهَا**»[1] فتجري، ولما مضى على السفينة مدّة ستّة أشهرٍ وعشَرة أيامٍ أمر الله سبحانه وتعالى الأرضَ بأن تشرب ماءها الذي بعثت به العيون، وأمر السماء أن تمسك عن المطر[2]، فأخذت الأرض تسترد كلّ المياهِ، والمياهُ التي هطلت من السماء تجمّعت وصارت بحاراً وأنهاراً، وأمر الله سبحانه نوحاً أن يترك السفينة تسير كيفما تشاء. ثمّ أمر الله سبحانه السفينة فاستقرّت على جبل الجوديّ[3]، وانتظر نوح أربعين يوماً ثمّ فتح باب الفُلْك وأرسل الغراب ليستطلع حال الأرض فعاد الغراب سريعاً فعلم أنّ الماء لم يجفّ بعد، ثم أرسلَ حمامة فعادت، ثمّ أرسلها بعد عشرة أيّام فعادت وهي تحمل في فمها ورقة زيتون فعلم أنّ الماء نقص وظهرت رؤوس الأشجار. ثمّ انتظر مدة وأرسل جميع الطيور فم تعدْ. ثمّ أوحى الله سبحانه إلى نوح أن ينزل من السفينة وقال له:

---

(1) : قال تعالى: (وَقَالَ ارْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ اللّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ {41}) . هُود.

(2) : قال تعالى: (وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءكِ وَيَا سَمَاء أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاء وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ {44}) . هُود.

(3) يقعُ جبلُ الجوديّ شمال الموصل جنوب تركيّا .

W ((قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلاَمٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ)). {48} C (سورة هود)

فنزل الجميع وصاروا يعمرون البلدان، وبعد نزولهم مباشرة ابتنى كلُّ رجل منهم لنفسه بيتاً، وكانوا ثمانين رجلاً فسُمّيت البلدة (ثمانين) وهي تقع حتى الآن في الموصل شمال العراق، وقد اتّخذها نوح مقرّاً له يزرع الأرض ما تبقى من حياته التي دامت بعد الطوفان خمسمئة عام[1]، بينما تفرّق أولاده وتكاثرت الناس ومضوا كل في اتجاه. ولما حانت ساعة الحق، وأقبل مَلَك الموت على نوح وجدَهُ جالساً في الشمس، فألقى الملاك السلام على نوح، فردّ نوح السلام، وقال له: ما جاءَكَ؟ فقال: جئت لأقبض روحك.

فقال له: أَتدعُني أتحوّل من الشمس إلى الظلِّ؟

فقال له: نعم فتحوّل نوح، ثم قال له: يا ملك الموت كأنّ ما مرّ بي من الدنيا، وهذه السنين المئات التي عشتُها لا تماثل تحويلي من الشمس إلى الظلِّ، فامضِ لِمَا أُمرتَ به. فقبض الملكُ روحه الطاهرة إلى بارئها.

عليه صلوات الله وسلامه، وأمّا قبره فهو في المسجد الحرام، ومنهم من يقول أنّ قبره في بلدةٍ تسمّى: (**كَرَك نوح**) في البقاع اللبناني وبني فوقه جامع، كما ذكر ابن جرير والأزرق. وقد وَرَدَ ذِكْرُه في آيات القرآن الكريم في أكثر من سورة:

W ((وَنُوحاً إِذْ نَادَى مِن قَبلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ{76}وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ {77})). C (الأنبياء)

---

(1) عاش نوح قبل الطوفان (350) عاماً، واستمرّ (100) سنة في صنع الفلك، وبعد الطوفان (500) سنة، فيكون مجموع ما عاشه (950) سنة، وقد ورد ذلك في سورة (العنكبوت) الآية رقم /14/: (فَلَبَثَ فِيْهُم أَلفَ سَنَةٍ إلاَّ خمسِينَ عَاماً فَأخذهُمُ الطُّوفانُ وَهُمْ ظالمُون) .

openkan.com

W((إِنَّـا أَرْسَـلْنَا نُوحـاً إِلَـى قَوْمِـهِ أَنْ أَنـذِرْ قَوْمَـكَ مِـن قَبْـلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ {1} رَبِّ إِنّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَاراً {5} فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلا فِرَاراً {6})) C سورة نوح وكذلك في الآيات (17) (27).

وفي سورة (هود) الآيات (36) (40)(41)(44).

وجاء ذكر نوح في التوراة، سفر التكوين، الإصحاح (6 ـ 7 ـ 8 ـ 9).جاء في الإصحاح الثامن من سفر التكوين: (وحدثَ بعد أربعين يوماً أنّ نوحاً فتح طاقة الفلك التي كان قد عملها، وأرسل الغراب. فخرج متردّداً حتى نشفتِ المياهُ عن الأرض، ثم أرسل الحمامةَ من عندهِ ليرى هل قلّتِ المياهُ عن وَجْهِ الأرض....).

وهذا ما انتهى إلينا من خَبَرِ نَبِيِّ اللّه نُوْح عَلَيْهِ السَّلاَمُ مَعَ الطُّوفَان الذي غمرَ وَجْهَ البسيطة.

والحمد للّه وحده لا شريك له، له الحمد ولهُ الملكُ وهو على كلِّ شيءٍ قدير.

obeikan.com

3 ــ خَبَرُ هِرْمسَ الهَرَامِسَةِ(عليه السلام)

إن شخصية نبيّ الله هرمس المثلث العظمة، فيها كثير من الغموض كونها شخصية عالمية، تُعرفُ بعدّة أسماء، وأخذت صفاتٍ شتّى، منها شخصية الإله وخاصة عند اليونانيين، أو النبيّ أو الطبيب أو الفيلسوف والعالم. وما تزال شارة الطبابة (صولجانٌ تلتفُّ عليهِ أفعَتان) تُعرفُ باسم: صولجان هرمس. والفُرْسُ يدَّعُون أنّه وُلِدَ في بلاد فارس في الألف الثالثة قبل الميلاد ويسمّونه (أنبجهذ)، واليهود قالوا أنّه وُلِدَ في بيت المقدس ويسمّونه (أَخْنُوخ)، والمصريّون القدماء قالوا أنّه وُلِدَ في الألف الرابعة قبل الميلاد في مصر، ويسمّونه (أمحُوتيب)، والبابليّون ينسبونه لهم، واليمنيّون عدّوه من أجدادهم، واليونانيّون اعتبروه من آلهتهم وسمّوه (هرمس الهرامسة) أو (هرمز) ويعني (عالِم العلماء)، والمسلمون قالوا أنّه يتّصل بالنسب بالنبيّ محمد عليه الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ ويسمّونه النبيّ إدريس (υ) لكثرة دراسته في كتب الله. وورد كذلك ذكره في القرآن الكريم:

W ((واذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِيّاً {56} وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً{57}{})) C سورة مريم

W ((وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ {84} وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُم مِّنَ الصَّالِحِينَ {85}{})) C سورة (الأنبياء)

وجاء في كتاب (جَامِعُ البيانِ) للطبري: (... سأل ابنُ عباس كعباً عن تفسير الآية /57/ من سورة مريم، ومعنى قوله تعالى: ((وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً))

فقال كعب: أمّا إدريس فإنّ الله تعالى أوحى إليه إنّي رافعٌ لك كلّ يومٍ مثل عمل جميع بني آدم، فأحبَّ أن تزداد أعماله بعد أن عَلِمَ بدنوّ أجلهِ فأتاه خليل من

الملائكة فقال له إدريس: إنّ الله أوحى إليّ كذا وكذا فكَلِّمْ لي ملك الموت فليؤخرني حتى أزداد عملاً، فحمله بين جناحيه، ثمّ صعد به إلى السماء، فلمّا كان في السماء الرابعة، تلقّاهم مَلَكُ الموتِ منحدراً، فكلمَ الملاَكُ مَلَكَ الموتِ في الذي كلمه فيه إدريس، فقال ملك الموت: ياللعجب بُعثت أقبض روح إدريس في السماء الرابعة، فجعلتُ أقول كيف أقبض روحه في السماء الرابعة وهو على الأرض...؟!. ثمّ قبض روحه في السماء فذلك قول الله تعالى: (وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً)

وذكر اليعقوبي في تاريخه أنّ أخنوخ بن يارد هو إدريس النبي وأنّه بعد بلوغه الستين، وُلِدَ له متوشالح، وأنّه أخبر أولاده بأن الله معذِّب الأمّة عذاباً عظيماً ليس فيه رحمةٌ وأنّه أوصاهم بأن يخلصوا عبادة الله ويستعملوا الصدق واليقين وأنّه مات بعد أن عاش /300/ سنة. وقد سمّي إدريس لكثرة ما كان يدرس كتب الله. وقد أنزل الله عليه ثلاثين صحيفة، وهو أوّل من خطّ بالقلم.

وذكر الشهرستاني المتوفى سنة /548 هـ / في كتابه المِلَل والنِحَل أنّ هرمس (υ) من الأنبياء الكبار، وأنّه إدريس وهو الذي وضع أسماء البروج والكواكب السيّارة، ورَتَّبها في بيوتها، وأثبت لها الشرف والوبال[1]، والأوج والحضيض، والمناظر بالتثليث والتسديس والتربيع والمقابلة والمقارنة والرجعة والاستقامة.

وقد دعا إلى دين الله، وقال بالتوحيد وعبادة الخالق وتخليص النفوس من العذاب في الآخرة بالعمل الصالح والصلاة والصيام والزكاة والطهارة من الجنابة وأنّه حرّم لحم الحمار والكلب، وحرّم الخمر، وأمر بالقرابين.

وهرمس أوأمحوتب قيل عنه أنّه هو الذي بنى الأهرام العظيمة بنواحي مصر، وهي من غرائب العِبَر وعجائب الدهر، حيث أنّ ألوفاً من السنين قد مرّت وهي ثابتة

---

(1) الشّرَفُ : مصطلح فلكي ويعني وُجود الكواكب في أعلى منزل لها.
الحضيضُ : كذلك يعني أدنى منازل القمر. والأوج : أعلى منازل القمر.
المناظرُ : يعني التساوي والتقابل.
الوبال : يعين الفساد وسوء العاقبة

في مكانها، راسخة في وجه الدهر والناس، وعجزت الملوك والجبابرة عن معرفة ما بداخلها، أو اقتحامها أو هَدْمِهَا، وذُكِرَ عن الخليفة العباسي المأمون أنه قد جمع لأجل هَدْمِهَا وفتحها أعداداً كثيرةً من العمّال والحجَّارين، وضاعف لهم النفقات حتى يفتحوا أحدها، لأنّه اعتقد أنّ فيها كنوزاً وذهباً، وقِيل عنه أنّه تكلَّف ألفَ أوقيةٍ ذهباً، وَكُلُّ مَا وَصَل إليه هو جُرْنٌ مملوءٌ بالذهب مغطّى بلوح من الرخام مكتوبٌ فيه: (**عَمَّرنَا هَذَا الهَرَمَ في أَلْفِ يَوْمٍ، وَيَحْتَاجُ هَدْمُهُ لأَلْفِ يَوْمٍ وَالهَدْمُ أَسْهَلُ مِنَ العِمَارَةِ، وَجَعَلْتُ في جِهَاتِهِ مِنَ المَالِ بِقَدْرِ ما يُصْرَفُ عَلَيْهِ لِهَدْمِهِ والوُصُولِ إِلَيْهِ، لا يَزِيْدُ وَلاَ يَنْقُصُ**) وعندما أُخِذَ ما في الجرن للمأمون، ووُزِنَ ما فيه وجده ألف أوقية، بمقدار ما أنفق ليحصل عليه فكفَّ عن عمله خائباً.

والأهرام الثلاثة التي تقع غربي نهر النيل، منها ما يجاوز دَوْرُهُ الألف ذراع[1]، وعلوّه خمسمئة ذراع، وكلّ حجر من حجارته طوله مساوٍ لعرضه ويبلغ ثلاثين ذراعاً، وارتفاعه عشرة أذرع. وهناك أهرام غير هذه الثلاثة أكبر وأعظم، وأكبرها هو هرم (خَفْرَع) ودَوْرُهُ ثلاثة آلاف ذراع، وعلوّه سبعمئة ذراع، وهو في مدينة (مَنَف) القديمة، وكلّ حجر من حجارة هذا الهرم طوله خمسين ذراعاً وتبلغ زِنَتَهُ سبعة أطنان.

ومن هذه الأهرام أيضاً هرم عظيم كأنّه جبل يقع مع هرم أصغر منه على الجانب الغربي من فسطاط مصر، وهما من عجائب العالم، حيث أن ارتفاع الهرم الأكبر[2] يبلغ ألف ذراع مَلَكِي، والذراعُ الملكيُ يعادل ستة أذرع معهودة، والهرم الأصغر ارتفاعه ألف ومئتي ذراع عادي بذراع البنائين، وهما مبنيان بالحجر العظيم على الرياح الأربع وما على وجه الأرض أعظم بناءً، ولا أحسن هندسة، ولا أطول بقاءً ولا أرفع سَنَاً من هذه الأهرام.

---

(1) **الذراع العادي: مقياس استخدمه العرب وهو ما يعادل (70 سم).**

(2) **الهرمُ الأكبرُ: هو هرم (خوفو) ومعناه بالهيلوغرافية (جَلَّ جَلاله).**

وبعض الأهرام مبنيّة بحجارة من الصوّان الأحمر المنقّط الشديد الصلابة الذي لا يؤثّر فيه الحديد إلاّ بالزمان الطويل، ومن عجيب بنائِها ودقّتِهِ وَضْعُ الحجر على الحجر بهندام بحيث لا يوجد بينها مدخل إبرة أو شعرة. وَوُجِدَ مكتوب على هذين الهرمين بالخط المصري القديم: (بُنِيَ هَذَانِ الهَرَمَانِ، والنَّسْرُ وَاقِعٌ فِي السَّرَطَانِ) ولمّا حسب علماء الفلك ذلك الوقت إلى الهجرة النبويّة الشريفة وجدوا أنّها تساوي سبعة آلاف ومئتين وعشرين سنة ميلاديّة.

وقيل أن هرمس (أمحوتب) عليه السلام لمّا عزم على بنائها لم يكن يريد جعلها قبراً لفرعون أو لغيره، وإنّما كتاباً ظاهراً مُغْلَقاً يسطّر فيه جميع العلوم والمعارف والحكمة الإلهية. وقد أمر باستخراج الرصاص من بلاد المغرب، وَقَطْعِ الأحجار الهائلةِ الضخمةِ، ولكي يمكن نقل الأحجار العملاقة أعطى العمّال صحائف مكتوب عليها اسم الله الأعظم وأقسامُ وأَيْمانٌ عظيمةٌ، فكان العمال يضعون الصحيفة على الحجر، ثمّ يسمّون باسم الله تعالى، ويدفعونه، فيغدو بتلك الدفعة مقدار رماية السهم، ثمّ يعيدون الصحائف عليها ويدفعونها حتى تصل للمكان المحدّد بغير حَمْلٍ أو مشقّةٍ. وإذا وصل الحجر يثقبونه ويجعلون في وسطه محوراً من الحديد قائماً، ثمّ يركّبون عليه حجراً آخر مثقوب الوسط ويدخلون القطب فيه جميعاً، ثمّ يُذاب الرصاص ويُصَبُّ في القطب وحول الحجر بهندامٍ وإتقانٍ، إلى أن كملت. ثمّ هندسها من كلّ جانب حتى تحدّدت أعاليها ثمّ ملأها بالآلات الحسنة والجواهر النفيسة والسلاح الفاخر، من الحديد الذي لا يصدأ[1]، والزجاج الذي لا يُكْسَر ولا ينطوي، والطلاسم الغريبة وأصناف العقاقير المفردة والمؤلّفة والسموم القاتلة.

وفي الهرم الشرقي الكبير (خُوْفُو) وَضَعَ أصناف الأوقات الفلكية وثمّ وَضَعَ كون الكواكب الثابتة[2] وما يحدث في أدوارها وقتاً وقتاً، وعمل فيها من التواريخ والحوادث التي مضت والأوقات التي ينظر فيها ما يحدث، وكلّ من يلي مصر إلى

---

(1) الحديد الذي لا يصدأ هو الفولاذ.

(2) كَوْنُ الكواكب الثابتة : هو المجموعة الشمسية.

آخر الزمان. وجعل فيها المطاهر التي فيها المياه الساخنة والباردة والمدبَّرة بصنعة محكمة، وجعل في الهرم الملوّن[1] أحبار[2] الكهنة ضمن توابيت من صوّان أسود، ومع كلّ كاهن مصحف فيه عجائب صناعته وسيرته وما عمل في وقته. وكل ما كان من أحداث وويلات وحروب وما يكون من أوّل الزمان إلى آخره، ورُقُم عليها أصناف العلوم العظيمة، كعلم السيمياء[3] والكيمياء والهيئة والحساب والهندسة والمنطق والطب والفلسفة. ولم يترك عِلماً من العلوم إلاّ زَبَرَهُ[4] ورسمه على جدران الهرم الداخلية، وهي معلومة لَمَنْ يفكُّ أقلامهم ويفهم رموزهم[5]، وكذلك أنواع الحرف والصناعات صوّرها على اختلاف أصنافها، ورسم على الجدران صُنّاعاً، كلُّ صانع في صناعته، وبيده الأخرى صناعة غيرها دلالة على وجوب تعلّم المرء أكثر من صنعة في حياته.

وقد ورد ذكر أخنوخ (هرمس) في التوراة، في سفر التكوين الإصحاح الخامس، الفصل 18 و 25: ((وَعَاشَ يَارد مِئَةً واثْنتَيْنِ وسِتِّينَ سَنَةً، وَوَلَدَ اَخْنُوخ، وَعَاشَ اَخْنُوخ خَمْساً وسِتِّينَ سَنَةً، وَوَلَد متوشالح، وَسَارَ أخنُوخ مَعَ اللهِ بَعْدَمَا وَلَدَ متوشالح ثلاثمئة سَنَةٍ، وَوَلَدَ فيها بَنِيْنَ وبَناتٍ فكَانت كُلُّ أيَّام اَخنُوخ ثلاثمئة وَخمْسَ وَسِتِّيْنَ، وَسَارَ مَعَ اللهِ وَلمْ يُوجَدَ بَعْدَ لإنَّ الله أخَذَهُ)).

وكذلك ورد ذكر في الإنجيل، حيث جاء في رسالة القدّيس يهوذا في عدد 16.14: ((وَقَدْ تَنَبَّأَ عَنْ هَؤُلاَءِ أَيضاً أَخنُوخُ السَّابِعُ بَعْدَ آدَمَ قَائِلاً: هُوذا قد جاء الرَّبُّ في رَبَواتٍ قَدِّيْسِيَّةٍ، ليَضَعَ دَيْنُونَةً على الجميع ويُعاقِبُ جَمِيعَ فُجَّارهم على جَمِيْعِ أعمالِ فُجُورهم الَّتي فجَرُوا بها وعلى جميع الكلماتِ الصَّعْبَةِ الَّتي تَكَلَّمَ بها عَلَيْهِ خُطَاةٌ فُجَّارٌ)).

---

(1) الهرم الملوّن : هو هرم مَنْقَرع وهو مبني من الصوّان الأحمر المنقّط .

(2) أحْبَارٌ : مفرده: الحِبْرُ وتعني العالم الصَالح .

(3) عِلمُ السِّيمَياءِ : هو علم يهدف إلى تحويل الحجارة وغيرها إلى ذهب .

(4) زَبَرَهُ : وَتَعْني كَتَبَهُ وَ أَتْقَنَ صَنْعَتَهُ .

(5) وَمَا يزالُ الهَرَمُ الأكبرُ (خوفو) مُغْلَقَ الأسْرَار أَمَامَ جَمِيْعِ الذّين حَاولوا اقتحامهُ فَصُدُّوا بنُورٍ عَظيم وَعُطِّلَتْ آلاتُهُمْ الحديثة ولم يعرفوا السبب.

وكان هرمس الهرامسة (أمحوتيب) من أنبياء مصر الذين دَعُوا إلى توحيد اللّه ورفضوا كل مظاهر عبادة الأصنام التي كان الفراعنة يعتقدونها أو جعل الفرعون إلهاً أو نصف إله. وقيل في الأهرام وعجائبها كثير من الأشعار، ومنها:

اُنْظُــرْ إلى الهَــرَمَيْنِ وَاسْــمَعْ مِنْهُمَــا،،
مَــا يَرْوِيــانِ عَــنِ الزَّمــانِ الغَــابِرِ
لَــمْ يَنْطِقَــا بــالخَبَرِ إلاَّ الــذي،،
فِعْــلَ الزَّمــانِ بَــأوّلٍ وَآخَــرِ
خَلِيلــيَّ مَــا تَحْــتَ السَّــمَاءِ بُنْيَــة،،
تُشَــاكِلُ في إتْقَانِهَــا هَرَمْــي مِصْــرِ
بَنــاهُ وهَنْــدَسَ أرْكَانَــهُ سَــيِّدٌ،،
عَــالِمٌ مُثَلَّــثُ الحِكْمَــةِ هِــرْمِسُ الفَخْــرِ

وهذا ما انتهى إلينا من خبرِ هِرمِس الهَرامِسَة المثلّث الحكمة أخنوخ وإدريس سلام المهيمن عليه، والحمد للّهِ وحدَهُ لا شريكَ له، لَهُ الحمدُ ولهُ المُلْكُ وهوَ على كل شيءٍ قديرٌ.

4 ــ خَبَرُ نَبِيِّ اللهِ صَالِحَ (عليه السلام)

أرسل اللّه سبحانه وتعالى النبي صالحاً إلى ثمود وهو منهم، وثمود قبيلة عربية من العرب البائدة عاشت في أرض عاد التي أهلكها اللّه لكثرة شرورها بعد أن أرسل لهم النبي هود فلم يصدّقوه ولم يؤمنوا به وبدعوته. وكان النبي صالح (ʊ) من أشرف بيوت ثمود نَسَباً، مَنَحهُ اللّه الحِلْمَ والعقلَ والحكمة، فصار يدعو قومَه ثموداً إلى عبادة اللّه ويحضّهم على التوحيد، ونهاهم عن عبادة الأصنام، لكنّهم لم يستمعوا إليه، وأنكروا نبوّته وَهَزِئُوا بدعوته وزعموا أنها بعيدة عنه، فصار صالح (ʊ) يذكّرهم بصلته بهم، وأنّهم أهله وأنّه يريد خيرهم في الدنيا والآخرة. لكنهّم كانوا يرفضون ويمتنعون عن تصديقه، ويرفضون ترك الأصنام التي ألفوا آباءهم يعبدونها، ناسين ما حلّ بعاد لكفرهم.

وعندما وجدوه مستمرّاً بدعوته لهم، عرضوا عليه أن يترأسهم، لكنه رفض، وقال أنّه لا يقصد من وراء دعوته نفعاً، ولا يطمع بجاهٍ أو مال وإنّما يطمع في نجاتهم من غضب اللّه وعقابه. لكنهم استكبروا وزادوا في طغيانهم وعنادهم وقالوا لصالحٍ: إنَّكَ قد جُننت وضاع صَوَابك وما نظنُّ إلاّ أنّ أحداً قد سَلَّط عليك شيطانه، أوْ عَمِل فيكَ سِحرَهُ فأصبحتَ تَهْرِفُ بما لا تفقه، فلستَ إلاَّ بَشَرَاً مثلنا، وما أنت بأفضلِنا وأشرفنا نسباً، وفينا من هو أحقّ منك بالنبوّة.

وعندما رأى القوم ثباته على دعوته خافوا أن يستجيب الناس له ويذهبوا إليه في كلّ شيء يلمُّ بهم، ويطرقون بابه كلّما وقعت بهم واقعة، فطلبوا منه أن يأتيهم بآيةٍ يتبيّنون بها صِدْقَ دعوته، ومعجزةٍ ظاهرةٍ تصدّق رسالته.

فأوحى اللّه سبحانه أنّه مُرسِلٌ لهم ناقةً عظيمةَ الجسم مميّزةَ الشكلِ، تخيف أنعامهم وإبلهم، لا تشربُ إلاَّ في يومٍ معلومٍ مهما اشتدّ بها العطشُ. فأخبر صالح (ʊ) قومه بآية اللّه ومعجزته الظاهرة لهم وقال:

«هذه ناقة الله أرسلها آيةً لكم، لها شُرْب في يوم محدّد، تحمي الماء خلاله وتمنع أنعامكم من وِرْدِهِ، ولكم شرب يوم معلوم، فذروها تأكل في أرض الله، وحاذروا من أذِيَّتِها وإلاّ نالكم عذاب الله الشديد».

وكان الناس في تلك الفترة لم يعهدوا رؤية ناقة تستأثر بمائهم يوماً كاملاً، تمنع غيرها من البشر والأنعام من الشرب، فخافوا منها، وخاف سادتُهم تصديق الناس لصالح لوضوح برهانه.

وقد مكثت الناقة بين قوم ثمود فترة وهي على تلك الحال من وِرْدِ الماء يوماً والامتناع عنه بقية الأيّام، وداوم صالح على دعوة الناس لدين الله وعبادته وترك الأصنام، واستطاع أن يستميل كثيراً من الناس الذين صدَّقوا دعوته وأيقنوا صحّة نبوّته وخاصةً بعد آيةِ الله التي أرسلها إليهم واضحة بيّنة صادقة.

وكان صالح (υ) يدعو قومه، ويبشّر الذين آمنوا به بنعيم الله وجنّته الخالدة، ثمّ أوحى الله سبحانه له بأنّ شخصاً من شباب ثمود شديد البأس ذا جرأة وقسوة، كثيرَ الظلم، لا يحجم عن معصية أو منكرٍ، سوف يُقدِم على قتل الناقة التي أرسلها الله وسوف يكون ذلك نهاية قومه الكافرين ويكون مصيرهم كمصير عاد الكافرين.

فأخبر صالح قومه بما أوحى له الله، فخاف القوم وصاروا يقتلون كلّ غلامٍ يولد عندهم خوفاً أن يكون هو قاتل الناقة بعد أن يكبر فيكونُ هلاكُهم على يديه. وعندما وُلِدَ قدار بن سالفٍ وهو ابن أحد سادات القبيلة المرهوبي الجانب لم يستطع الناس قَتْله، فَنَما وكبر على القسوة والبطش وخافَ الجميع منه لمكانة والده وجدّه، ولمّا نَظَرَهُ صالحٌ وما فيه من صفات عرف أنّه قاتل الناقة الذي وصفه له ربَّه فصار يكثّف جهوده بدعوة قومه لترك عصيانهم وكفرهم عسى يحيدوا عن طغيانهم قبل وقوع الوعد الصادق بهم.

ومن الجانب الآخر كان سادة ثمود الكافرون يحرِّضون الناس على النبي صالح لإبطال دعوته والابتعاد عنه، وشرعوا بالتآمر على قَتْلِ الناقة التي أرسلها لهم

اللّه سبحانه تصديقاً لنبيّه، لكنّ كثيراً من الناس خافوا الإقدام على قتلِ الناقة لما رأوا فيها من هيبةٍ وعظمةٍ، إضافة لتحذير صالح لهم ممّا سيصيبهم من عذابٍ خافوا من وجوده.

وكان الشيطانُ حليفَ أولئك السادة الطغاة الذين عاهدوه، وساروا دربه، وانقادوا لأمره، وزيّن لهم الشيطان (لعنه اللّه) عن طريق إحدى فتيات ثمود الحسناوات وهي (**صَدُوق بنتُ المُحَيا**) التي عرضت الزواج على مَنْ يقتل الناقة، وعن طريق إحدى العجائز التي عرضت على قَدَارِ بْنِ سَالفِ ابنتَهَا الجميلة للزَّواج بها مقابلَ قَتْلِ الناقةِ.

فلبّى مَصْدَعُ بن مَهرج دعوةَ صدوق بنت المحيا، واستجاب قدار بن سالف دعوة تلك العجوز، وسار الاثنان يبحثان بين شباب القبيلة عمّنْ يساندهما في مهمتهما، فاستجاب لهما سبعة شبّان آخرون، ثمّ سار التسعةُ حيث ترد الناقة، وانتظروها حتّى رجعت من ورُودِها فكَمَنَ لها مَصْدع ورماها بسَهْمٍ في ساقها، وأسرع قدار فعَرْقبها[1] فسقطت الناقة ثمّ بادر فطعنها في عنقها وأقبل الباقون فأنشبوا فيها سيوفهم فماتت. ثم عادوا إلى قومهم يحملون لهم بُشْرَاهُم بقتل الناقة وما دَرُوا أنهم يحملون لهم الهلاك والفناء، رغم أنّ القوم استقبلوا التسعة استقبال المنتصرين العائدين من الحرب. ولّما جاءهم صالح كي يحذّرهم من عقاب اللّه لارتكابهم المعصية والإقدام على قَتْلِ الناقة قالوا له ساخرين هازئين: يا صالحُ أين عقاب ربّك. فها نحن قَتَلنا ناقته، فأين الوعد إن كُنْتَ من المرسلين؟

فقال لهم: لقد جلبْتُم على أنفسكم الهلاك بكفركم، وها أنتم تلاقون مصيرَ عَادٍ، فما هي إلاّ أيّام ثلاثة تتمتّعون بها حتّى يحلّ بكم عذابُ اللّه.

لكنهم لم يثوبوا إلى رشدهم ولم يخافوا من وعيده مثلما لم يستجيبوا له بدعوته، وتمادوا في سخريتهم بأن سألوه أن يعجّل لهم بالعذاب إن كان صادقاً. إلاّ أنّ صالحاً ذا الهمة العالية كان مازال يأمل أن يعود قومه عن كفرهم وأن

---

(1) عَرْقَبَ النَّاقَةَ: أي عَرْقَلَهَا عَن المَسِيْرِ بوضع عَصَاً أو نحوها بينَ أَرجُلِهَا.

يستجيبوا لدعوته ويطلبوا غفران الله وعفوه، ولكنْ هيهات أن يلينَ الصخر في الماء، وهيهات أن تلينَ قلوبٌ قاسيةٌ لدعوة الحق والإيمان. وقد زادوا في تكبّرهم أن أضمروا الشّر والهلاك، لنبيّ الله الذي دعاهم للحق، فأرادوا قَتْلَه ظنّاً منهم أنّ ذلك يعصُمهم من العذاب، لأنّ صالحاً كان قد قال لهم لمّا سألوه التعجيل بالعذاب بعد قَتلِ الناقة: إنّكم سوف تصبحون يوم الخميس ووجوهكم مسودَّة، وتصبحون يوم الجمعة ووجوهكم مصفرّة، ويوم السبت تكون الصاعقة التي سينزلها ربّ العزّة بكم.

وكان عَقْرُ النَّاقةِ وقتلُها يوم الأربعاء، فلمّا رأوا وجوههم اسودّت في صبيحة الخميس، واصفرّت صباح الجمعة أدركوا أنّ العذاب سيحلّ بهم، سَعُوا إلى صالح يريدون القضاء عليه وقَتْله ظنّاً منهم أنّ ذلك ينجيهم من العذاب والعقاب، لكنّ الله للظالمين بالمرصاد، فردَّ كيدهم إلى نحرهم، وأنقذ نبيَّهُ، إذ أوحى له بما يدبّره الكفار له، فخرج صالحٌ هارباً منهم، حتّى لحق بقبيلة يُقال لهم (**بنو غنم**)، فنزل على سيّدهم وأخبره بقصّته فأخفاه، ورغم أنّ الكفار بحثوا عنه بحثاً محموماً لكنّهم لم يعثروا عليه، فراحوا يعذّبون أصحابه كي يرشدوهم إلى مكانه فلم يُفلحِ الكفّارُ في مسعاهم.

ولَمّا كان يوم السبت، وكانوا يسمّونه (**شَبَارَ**) أنزل الله بالكافرين عقابه تصديقاً لوعده، وانتصاراً لنبيِّهِ، فأخذتْهم الصاعقةُ ولم تستطع قصورهم وحصونهم حمايتهم من عذاب الله، فباتوا على الأرض جاثمين هامدين، ولم يبقَ منهم إلاّ مَنْ آمَنَ بربِّه، فَقَدْ أنجاه من العقاب، ولا يظلم ربّك العباد، وإنّما كانوا لأنفسهم ظالمين ولمّا رأى صالح (U) ما حلّ بقومه وديارهم تولّى عنهم والأسى يملأ قلبه، ولكن هذا هو جزاء الله العادل للكافرين المشركين فغادرهم إلى فلسطين مع أصحابه، وعاش فيها حتّى جاء أجله عليه سلام الله وصَلَواته. وقد ورد ذِكْر نبي الله صالح وناقته في القرآن الكريم:

W ((وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ {61} قَالُواْ يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوّاً قَبْلَ هَـذَا أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ {62} قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ اللّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ {63} وَيَا قَوْمِ هَـذِهِ نَاقَةُ اللّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللّهِ وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ {64} فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمْ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ {65} فَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحاً وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ{66})). C

سورة (هود)

وهذا ما انتهى إلينا من خبرِ نَبِيّ اللّه صَالِح عليه الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ مع قومه ثمود وإرْسَال ناقة اللّه إليهم برهاناً صادقاً. والحمد للّهِ وحدَهُ لا شريكَ له، لَهُ الحمدُ ولهُ المُلْكُ وهوَ على كل شيءٍ قديرٍ.

5 ــ خَبَرُ النَّبِيِّ إِبْرَاهِيْمَ (عليه السلام)

إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام أبو الأنبياء، وهو ابن تارخ بن ناحور بن ساروغ بن أرغو بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح (ʊ).

وُلِدَ ببابل، ثم ارتحل قاصداً أرض كنعان، فأقام بحرّان، وكان أهلها يعبدون الكواكب والأصنام. وقد آتاه الله سبحانه رشده منذ صغره، وبعثه رسولاً إليهم لكنّهم كذّبوه ولم يصدّقوه.

وكانت أوّل دعوته لأبيه الذي عبد الأصنام، لأنّه أحقّ الناس بالنصيحة[1]. فقال له والده: أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم، لئن لم تنتهِ وترجع لأرجمنَّك. ولكن إبراهيم تابع دعوته لأبيه بألطفِ العبارات وأحسنِ الإشارات، يريد أن يبيّن له بطلان ما هو عليه من عبادة الأصنام. فاستغفر إبراهيم لوالده بعد أن رفض قبول دعوته، ولمّا وجده عدوّاً لله تبرَّأ منه.

وقد كسَّرَ إبراهيمُ أصنام قومه وآلهتهم، وأبقى كبيرَ أصنامهم وعلّقَ الفأسَ (أو القَدُّوم)، فلمّا جاء القوم ورأوا ما حلَّ بأصنامهم وكان بعضُهم قد عرف نيَّة إبراهيم بتحطيم الأصنام أثناء خروجهم إلى خارج مدينتهم لبعض أعيادهم، فلمّا أحضروه وسألوه عن فعلته قال: اسألوا كبير أصنامكم فهو الذي دفعني لتلك الفعلة.

فقالوا له: قد علمتَ يا إبراهيم أنها لا تنطق فكيف تأمرنا بسؤالها؟

---

(1) (إِذْ قَالَ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنكَ شَيْئاً **{42}** يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيّاً **{43}** يَا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيّاً **{44}** يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيّاً **{45}**) سورة مريم.

فقال لهم: كيف تعبدون أصناماً أنتم تنحتونها، لا تتكلَّمُ ولا تستطيع حتّى الدفاع عن نفسها ولا حمايتكم، ولا تجلبُ لكم نَفْعَاً ولا تملكُ لكم ضرّاً؟

وعندما لم تبقَ لهم حُجَّة حاولوا قَتْلَهُ بأن كبَّلوه وجمعوا حَطَباً عظيماً لمدّةٍ طويلةٍ، ثمّ أشعلوا النار، ووضعوا إبراهيم في كفَّة المنجنيق الذي صنعه لهم لأوّل مرَّة وبأمرٍ من الشيطان (لعنه الله) رَجل من الأكراد يُقال له (هَزَن) وكان إبراهيم (υ) يقول وهم يكتِّفونه: «**لاَ إِلَه إِلاَّ أَنتَ، سُبْحَانَكَ لَكَ الحَمْدُ ولَكَ المُلْكُ لا شَرِيكَ لَكَ**». وعندما قذفوه نحو النار قال: «**حَسْبُنا اللهُ ونِعْمَ الوَكِيْل**» وذكر ابن كثير في (البداية والنهاية) عن ابن جرير قوله: (**لّما قُذِفَ بإبراهيم إلى النار، عرض له جبريل (υ) في الهواء فقال: ألَكَ حاجةٌ؟ فقال إبراهيم: أمّا إليكَ فَلاَ. وقِيْل جعل مَلَكُ المَطَر يقول متى أؤْمَر فأرْسِلُ المَطَرَ. لكنّ الله كان أسرع فقال ربّ العزّة: يا نارُ كوني برداً وسلاماً على إبراهيم.**)[1] فلما صار إبراهيم وسط النار تحوّلت في داخلها إلى روضةٍ خضراءَ، والناس ينظرون إليه لا يقدرون على الوصول إليه، وهو لا يخرج إليهم.

ويذكر ابن عسكر عن أبي هريرة أنّ أحسن كلمة قالها تارح لّما رأى ولده على تلك الحال من إنقاذ الله له: (**نِعْمَ الرَّبُّ رَبُّكَ يا إبراهيمُ**) وإن أم إبراهيم (بونا بنة كربنا بن كرثى) نظرت إلى ابنها فنادته: «**يا بُنيّ إني أريد أن آجي إليك فَادْعُ الله أن ينجيني من حرّ النار حولك**) فقال: نعم. فأقبلت إليه لا يمسّها شيء، فلمّا وصلت إليه عانقته وقبّلته ثم عادت. وقد مكث إبراهيم في النار أربعين يوماً وقال حينها: «**مَا كانت أيامٌ لي أطيبَ عيشاً من التي كنت في وسط النار، وَوددتُ أنّ عيشي وحياتي كلّها مثلها**».

ولّما خرج إبراهيم من النار لم يقترب منه القوم، إذ أدركوا أنّ الله يحميه ويحفظه. ثمّ أُمِرَ إبراهيم أن يذهب لأرض بابل ليدعو ملكها الكافر ويُقال له (النمرود بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح) وكان قد ملك الدنيا رغم كفره،

---

(1) قال تعالى:(قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ **{68}** قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ **{69}**) سورة الأنبياء.

وقد استمرّ في مُلْكِهِ أربعمئة سنة فَطَغا وتجبَّر وتكبَّر. فلمّا دعاه إبراهيم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، حملهُ الجهلُ وطولُ الأملِ على إنكار الله وادّعاء الربوبية. وعندما قال له إبراهيم مُحَاجِجاً إياه: «إنّ ربّي يُحيي ويميت». ردَّ النمرود (لعنه الله): «وأنَا أحييْ وأُميتُ»، فأمر النمرود جنوده فأحضروا رَجُلَيْن فأَمَرَ بِقَتْلِ أحدهما، وإطلاقِ سراح الآخر. فقال لإبراهيم متفاخراً: لقد أحْييتُ واحداً وأَمَتُّ آخراً. وظنَّ النمرود أنّه استطاع أن يتغلب على إبراهيم في حجتّه، لكنّ الله أوحى لإبراهيم فقال للنمرود: «**إنّ الله يأتي بالشمس من المشرق، فَأْتِ بها من المغرب**». وهنا بُهِتَ النمرود وعجز عن الإجابة، فتركه إبراهيم بعد أن أظهره أمام الناس بعجزه عن خلق بعوضة رغم تبجُّحهِ وادّعائه، ثم أرسل الله سبحانه إلى ذلك النمرود المتكبّر مَلكاً يأمره بالإيمان فأبى مرّة واثنتين وثلاث وقال له: اِجْمَعْ جُموعَكَ وَأَجْمَعُ جموعي، فجمع النمرود جيشه وجنوده وقت طلوع الشمس، فأرسل الله عليهم ذُباباً وبعوضاً بحيث لم يَرُوا عَيْنَ الشمس وسلّطها عليهم، فأكلت لحومهم ودماءهم وتركتها عظاماً بادِيةً ودخلت واحدةٌ في منخر النمرود فمكثت في منخره أربعين سنة عذَّبَهُ الله تعالى بها، فكان يضرب رأسه بالجدران من شدّة الألم، ولم يستطع كل الحكماء والأطباء علاجه حتى مات وأراح الله الناس من ظلمه. وقد عاش إبراهيم الخليل(υ) قرابة المئتي سنة، مات ودُفِن بقرية حبرون مع زوجته سارة، في مغارة اشتراها. (J)

وهذا ما انتهى إلينا من خبرِ نَبِيّ الله وَخَلِيْلِهِ إِبْرَاهِيْمَ عليه الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ مع قومه والنمرود الظالمين. والحمد للّهِ وحدَهُ لا شريكَ له، لَهُ الحمدُ ولهُ المُلْكُ وهوَ على كل شيءٍ قديرٍ.

6 ــ خَبَرُ النَّبِيِّ إِسْمَاعِيْلَ الذَّبيح (عليه السلام)

إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام نبي من أنبياء الله الصالحين وهو جدّ العرب العاربة، ورَدَ خَبَرُه وأمُّه (هاجر) في آيات القرآن الكريم، وهو الابن الذبيح الذي افتداه ربُّه بكبش سماوي، وحاولت اليهود حَسَداً وحِقْداً على العرب أن تدّعي أن الابن الذي أَقْدَمَ إبراهيم على ذبحه امتثالاً لأمر ربِّه هو اسحق ابنه الثاني وهذا ادّعاءٌ باطل ومن السهل بمكان دَحْضُهُ من خلال آيات القرآن الكريم وأحاديث النبي العربي محمّد (J).

وجاء في سورة (الصَّافَات)[1] خبر إسماعيل (υ)، حيث يذكر تعالى عن خليله إبراهيم عليه السلام أنّه لمّا هاجر من بابلَ إلى كنعانَ سألَ رَبَّهُ أن يَهَبَ له ولداً يحمل اسمه، وكانت زوجته (سارة) لم تنجب له أولاداً. فقالت سارة لإبراهيم: أدخل على جاريتي المصرية (هاجر). فتزوّجها فحملت منه، فصارت سارة تشعر منها بالغَيْرةِ، واتَّهمَتْها عند إبراهيم بالتكبّر والترفّع لأنّها تحمل مولوداً لإبراهيم وهي لا.

فقال لها افعلي بها ما شئتِ كونَه كان يحبُّ زوجته سارة أكثر من جميع نساء الأرض وقد كانت سارة جميلة باهرة الحُسْن، فلّما سَمِعَتْ هَاجَرُ ما قال

---

(1) قَالَ تَعالى:(وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ {99} رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ {100} فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ {101} فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ {102} فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ {103} وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ {104} قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ {105} إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلاء الْمُبِينُ {106} وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ {107} وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ {108} سَلامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ {109} كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ {110} إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ {111} وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيّاً مِّنَ الصَّالِحِينَ {112} وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ {113})

إبراهيم لسارة خافتْ، فهربت فظهر لها مَلاَكٌ وقال لها: «**لا تخافي يا هاجرُ فإنّ الله سبحانه جاعل هذا الغلام الذي حَمَلْتِ به أمّةً عظيمة تنطق بالحق والخير**». وأمرها بالرجوع وبشّرها بأنّها سوف تلدُ ابناً وتسميه (إسماعيل) ومعناه (سمع الله دعاء خليله) وسوف يكون ساعياً في إطفاء الفتن، وإحْلالِ الوِئَام بين الناس، ويملك جميع بلاد إخوته. فشكرَتْ هَاجَرُ اللّه عزَّ وجلَّ على الذي منحها وعادت فوجدت إبراهيم يبحثُ عنها محموماً فأخبرته بما حَدَثَ فحمدَ ربَّه وتلطَّف بمعاملتها وطَلَبَ من سارة كذلك. ثمّ أنّ هاجر ولدت لإبراهيم عليه السلام ابنه البكر (إسماعيل) وكان له من العمر ستّ وثمانون سنة. ثمّ وبعد ثلاثة عشر عاماً أوحى اللّه لإبراهيم يبشّره بإسحق من سارة فخرّ ساجداً للّه، فقال له ربّه سبحانه: « **قد استجبتُ لكَ في إسماعيل وباركتُ عليه وكثّرته ونمَّيتُهُ كثيراً ويولد له اثنا عشر عظيماً، وأجعلُه رئيساً لشعبٍ عظيمٍ**».

وكان أمر اللّه تعالى لإبراهيم أن يأخذَ إسماعيل وأمَّه هَاجَرَ عندما كان إسماعيل طفلاً رضيعاً، ويسكنهما في بلادٍ قَفْرٍ عند البيت الحرام، (حيث سيوحي اللّه تعالى لإبراهيم بعد سنوات طويلة أن يبني البيت الحرام هو وإسماعيلُ ولدُه، لذلك كان أمرُ اللّه أن يأخذ إبراهيمُ هاجر وابنه إلى المكان المحدّد) فوضعها عند دوحة فوق زمزم وليس بمكّة يومئذ أحد وليس بها ماء، ووضع عندهما جراباً فيه تمرٌ وسَقَاءٌ فيه ماء ثمّ قَفَل إبراهيم منطلقاً، فتبعته هاجر ثمّ قالت له: يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا في هذا الوادي الذي ليس فيه أنيس ولا حسيس؟ فلَمْ يُجبْها، فلمّا ألحَّتْ عليه قائلةً: هل أمركَ اللّه بهذا؟ قال: نعم. قالت: إذاً فهو لن يضيّعنا. ثم رجعت. فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه رفع يديه ودعا ربّه قائلاً: **يا ربّي وإلهي إنّي أسكنتُ زوجتي وابني في هذا الوادي المُقْفِر، فاحفظْهم بحفظِكَ واشملْهُم برحمتِكَ واجعلْ قلوبَ الناسِ تهوي إليهم وارزقهْم رزقاً حَسَناً إنّكَ أنت السميعُ المُجِيْبُ**[1].

---

(1) **قال تعالى:(رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ {37})** سورة إبراهيم .

ثم جعلت هاجر ترضع طفلها وتشرب من الماء وتأكل من التمر حتى نَفَذَ ما عندها، فعطشت وعطش ابنها، فجعلت تنظر إليه يتلوّى، فلم تدري كيف تصنع، فجعلت تركض فوجدت تلّة في الأرض قريبة منها واسمها (الصفا) فقامت عليها فلم تجد أحداً يساعدها أو ماء يروي ظمأ ابنها، فنزلت عن الصفا ونزلت الوادي وركضت تجاه تلةٍ أخرى اسمها (المروة) فقامت عليها ونظرت فلم تجدْ شيئاً، ويروي ابن جرير أن إبليس (لعنه الله) كان يُظهِرُ لهاجر صورةَ الماء فوق الصفا فلمّا تركض نحوها تختفي، فيظهرها فوق المروة فتركض نحوها فتختفي، ويظهر السراب فوق، وهكذا سبع مرّات حتى تعبت وَأيسَتْ، وفي آخر مرّة وهي مجهدة متعبة سمعت صوتاً فقالت: صَهْ. تحادث نفسها، ثم تسمّعت فسمعت أيضاً ذات الصوت، فقالت: قد أُسمِعْتُ، فإنْ كان عندَك غوَاث فَهَيَّا. فإذا هي بالملاك عند موضع زمزم، فبحث بعَقْبِهِ حتى ظهر الماء، فجعلت تخوضه وتقول زِمْ زِمْ، ثم جعلت تغرف من الماء وتسقي طفلها.

ثم كانت إرادةُ الله أن مرّ قومٌ من جُرْهُمَ ولّما وجدوا عندها الماء طلبوا منها النزول عندها، ولم يكن يعرف وجود الماء في تلك البقعة من الأرض، فوافقت، وتكاثر الناس عند زمزم وشبّ إسماعيل بينهم وتعلّم لسانه لغتهم لكنه نطقها بالفُصحى السليمة، فكان بذلك أوّل من نَطَقَ بالعربية الفصيحة.

وكان إبراهيمُ يزور هاجرَ وإسماعيل من فترةٍ لأخرى يطمئن عليهم، ثمّ أوحى الله سبحانه لإبراهيم أن يذبحَ ابنه إسماعيل اختباراً له، فامتثل إبراهيمُ لأَمْر الله وسارع إلى طاعته، ثم عَرَض ذلك على ولده ليكون أطيب لقلبه وأهون عليه من أن يأخذه قسْراً، وكان إسماعيل حينها في التاسعة من عمره، فقال إسماعيل (U) منفّذاً أمر الله ووالده: يا أبت افعل ما أمرك الله به وستجدني صابراً منفذاً مُحتَسِباً. ولّما تمدّد إسماعيلُ للذبح، وقد ألقى إبراهيم وَجْهَ إسماعيل على الأرض كَيْلاَ يشاهده أثناء ذبحه فيضعفُ، وسمّى باسم الله، تشهّد الولدُ المطيع للموت، ولّما هَمَّ بذبْحِهِ، (وقيل أنّه وضعَ السكينَ على عنقه وشرع بالذبح وسال بعضُ الدم) نودي

إبراهيم من ربّه: يا إبراهيم قد حصل المقصود من اختبارك وطاعتك، ومبادرتك وإقدامك على ذبح ولدك. وقد جعلنا فداء ولدك ذَبْحَ كبشٍ أبيض أعين أقرن.

نظر إبراهيم فرآه مربوطاً في ثبير[1]، فذبحه وقدّم قرباناً لله الذي ارتضاه منه عن ولده الذبيح إسماعيل عليه السلام[2]

وهذا ما انتهى إلينا من خبرِ نَبِيّ اللّهِ إِسْمَاعِيْلَ الذَّبيح عليه سلام الله ورحمته. والحمد للّهِ وحدَهُ لا شريكَ له، لَهُ الحمدُ ولهُ المُلْكُ وهوَ على كل شيءٍ قديرٍ.

(1) ثبير : اسم جبل بين مكة ومِنى، يُرى على يمين الداخل إلى مكة من مِنى.

(2) : مات إسماعيل وله من العمر مئةٌ وسبعٌ وثلاثون سنةً، ودُفن بالحُجْرِ مَعْ أمِّهِ هاجر .

opeikan.com

7 ــ خَبَرُ النَّبِيِّ يُوْسُفَ الصِّدِّيقِ (عليه السلام)

هُو يوسفُ بنُ يعقوبَ بنُ اسحَق بنُ إبراهيم (عليهم السلام)(❖)، كانَ أصغَر إخوتهِ، لذلك أحبَّه أبوه كثيراً، ودَلّلَهُ ممّا جعلَ إخوته يحقدون عليه، وكان قد رَوَى حُلُماً لإخوته فَحَسَدُوْهُ وخافوا على مكانتهم منه وروى حلماً آخر لأبيه حيث قال له أنّه رأى الشمس والقمر وأحد عشر كوكباً يسجدون له[1] فطلب منه أبوه ألاَّ يخبر أحداً بهذا الحلم لأنّه سيثير حقد إخوته عليه[2]، وهذا ما كان بعد أن استرقوا السمع عمّا أخبر به يوسفُ والدَه. فأضمروا له الشرّ وأرادوا الخلاص منه، وكان آنذاك في السابعةَ عَشْرة من عمره، وعندما كانوا يرعون الأغنام، ويوسف معهم، قالوا أنّهم محتاجون للماء، ثم أنزلوا يوسف إلى البئر بعد أن أخذوا قميصه، وقطعوا الحبل به، ثمّ رأوا قافلة قادمة من بني إسماعيل فاختبؤوا، ومرّ عندها رجالٌ تُجَّارٌ من بني مِدْيَانَ فأخرجوا يوسف وباعوه للإسماعيليين بعشرين من الفضة، وغادر الإسماعيليون إلى مصر.

وعندما رجع الإخوة إلى البئر ولم يجدوا يوسف، لم يعرفوا ما يفعلون أو يقولون لأبيهم، فمزّقوا ثوبه، ثم غَمَسُوهُ بدَم تَيْسٍ ذَبَحُوهُ وأخذوا القميص لوالدهم يعقوب النبي وقالوا له: إنَّ الذئب أكلَ يوسفَ. فمزّقَ يعقوب ثيابه، ووضع مِسْحَاً[3] على جسمه وناح وبكى على ابنه أيّاماً كثيرة، ورفض أن يقبل العزاء به حتّى يهلك ويموت.

(❖) البداية والنهاية لابن كثير

(1) (2) قال تعالى: {إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ {4} قَالَ يَا بُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْداً إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ{5}} سورة يوسف.

(3) المِسْحُ:الثوبُ المصنوع من الوبر أو الشَّعر، وهو ثوبُ الرُّهبان .

وفي هذه الأثناء كان يوسف قد بِيْعَ إلى رئيس الحرس الخاص بفرعون واسمه (فوطيار) فعاش يوسفُ في بيتهِ حيث كان الله سبحانه معه، فحلَّتِ البركةُ على البيت بسببه، وحدث بعد ذلك أن انتقل يوسفُ إلى بيت فرعون فبقي فيه زمناً، إلى أن حاولت امرأة فرعون واسمها (زُلَيْخا) أن تغريه ليرتكب الإثم، فهو كان جميل الطلعة، بهيَّاً، حَسَنَ الخَلْقِ والخُلْقِ، فرفض عَرْضَهَا وقال لها: لن أصنع هذا الشرّ العظيم، وأخطئ إلى الله. وعندما حاول الهرب من أمامها شدّته من ثوبه فتمزّق، فحقدت عليه ونوتْ أن تُلْحِقَ به الموت، فصرخت وعندما اجتمع من في القصر وزوجها، قالت كاذبةً: إن هذا الشاب حاول أن يرتكب الفاحشة معي، وقد هرب عندما صرختُ وترك ثوبه الممزّق هنا، فغضب سيد المنزل وأمر بسجنه، فَسُجِنَ وكان رئيس السقاة، ورئيس الخبازين في السجن لغضب الفرعون عليهما، ومرّت فترة على يوسف وهو في السجن، ثمّ حَدَثَ أن رأى رئيس السقاة ورئيس الخبّازين كلّ منهما حُلُمَاً في ليلةٍ واحدة، وعندما قصَّا على يوسف ما رأَيَا، فسَّر لهما الحلمين، وكان تفسير الحُلمين: أنّ رئيس الخبّازين سوف يقتله فرعون ويعلقّ رأسه على خشبة تأكله الطيور، ورئيس السقاة يعفو عنه وينجو. وهذا ما حدث حقّاً.

ثمّ حَدَثَ بعد مدة طويلة أنّ فرعون رأى حلماً أخبرهُ لجميع المفسّرين والمنجّمين ليفسّروه له ففشلوا، ثمّ تذكر رئيس السقاة الذي عاد لعمله ما فعله يوسف في السجن، وكيف فسّر له حُلْمَهُ وحُلم رئيس الخبّازين، فأخبر فرعونَ بأمر يوسف الذي مازال مسجوناً، فكان أن أرسل فرعون بطلب يوسف فأُخرِجَ وأُحْضِرَ بين يديهِ، فقال فرعون: قد رأيتُ حُلْماً وليس مَنْ يفسّره لي، وسمعتُ أنّك تقدر على تفسير الأحلام؟ فقال يوسف (ʊ): لي القدرة على التفسير بعون الله وحده، وهي نعمة من الله مَنَّ بها عَلَيَّ، فماذا رأيتَ؟ فقال فرعون: إنّي حَلُمْتُ أنّي كنتُ واقفاً على شاطئ نهر النيل، فرأيت سبعَ بقراتٍ طالعةً من النهر، سمينة اللحم، حسنةَ الصورةِ، فَأَرْتَعَتْ[1] في روضةٍ، ثم رأيت وراءها سبع بقراتٍ مهزولةً، قبيحة الصورة،

(1) أَرْتَعَتْ: يُقال رَتَعَتِ الماشِيَةُ إذا جاءت وذَهبتْ في المرعى وأكَلَتْ وَشَرِبَتْ مَا شاءت.

رقيقة اللحم، فأكلت البقراتُ الرقيقةُ والقبيحةُ البقراتِ السبعِ السمينة. ثم رأيتُ حُلُماً آخر: فقد رأيتُ سبعَ سنابلَ طالعةً في ساقٍ واحدة ممتلئة وحسنة المنظر، وبعدها رأيتُ سبعَ سنابلَ يابسةً ضعيفةً، فابتلعتِ السنابلُ الضعيفةُ السنابلَ الممتلئةَ الحسنةَ، فقال يوسفُ (ט): **الحُلمان لهما المعنى نَفْسُه، الله سبحانه أراد أن يخبركَ ما هُوَ صانعٌ فالبقراتُ السبعُ السمينةُ مِثْلُ السنابلِ السبعِ الممتلئةِ، وهي تعني أنّ سبعَ سنين من الخير والغلال الوفير ستمرُّ على البلادِ ويَشْبَعُ الناسُ، ثم تأتي بعدها البقراتُ السبعُ الضعيفةُ أو السنابلُ السبعُ اليابسةُ، وتعني سبعَ سنواتٍ من القحط والجوع في كل أرض مصر، فينسى الناسُ الشبَعَ السابقَ لشدّة القحط والجوع الحاصل. وأمّا تكرار الحُلم مرّتين، فذلك لأنّ الله سبحانه مقرِّرٌ الأمر، وسيفعله بسرعةٍ.** وبعد أن فسّر يوسف (ט) الحُلْمَيْن لفرعون، اقترح عليه تكليفَ رجلٍ بصير حكيم، يجعله قيِّماً على أرض مصر، حيث يخزّنُ خُمْسَ غلال الأرضِ في سنواتِ الخير، احتياطاً لسنواتِ الجوع السبعِ. فأُعْجِبَ فرعونُ بيوسفَ ورأيه، وقال له: (**لن نجدَ رجلاً حكيماً، يخافُ اللهَ، واللهُ يحبُّه أكثرَ منك**).

ثمّ عَيَّنَ فرعونُ يوسفَ قيِّمَاً على كلّ أرض مصر، وأعطاه خَاتَمَهُ وجَعَلَ كلمَتَهُ بَعْدَ كلمةِ الفرعون، يأمرُ وينفّذ الجميع أوامرهُ، وزوَّجَهُ من (أَسْنَات) ابنة كبير الكُهَّان، وكانَتْ جميلةً طائعةً لربِّها وزوجهَا، وكانَ يوسف آنذاك في الثلاثين من عمره، فأنجبت له ابنان قبل سنواتِ الجوع، فأسمى الأوَّلَ (مُنَسِّي) لأنّ اللّه سبحانه أنساهُ كلّ تعبه، والثاني (أفرايم) ومعناه الخير المثمر، لأن اللّه سبحانه جعلهُ مُثمِراً في أرض غربته وذُلّه بعيداً عن أهلهِ وأرضهِ.

وقد حدث ما قاله يوسفُ فجاءت السبعُ سنين المثمرةُ، حيث انتشرت الخيراتُ وزادت الغلَّةُ، فصار يوسف يخزّن القمحَ الكثيرَ، حيث لم يعد هناك مُتَّسَعاً لتخزينه. ثمّ كَمُلَتْ سنواتُ الشبعِ السَبْعُ، وبعدها جاءتْ سبعُ سنوات الجوع، فانتشر القحطُ والجوع في جميع البلدان ما عدا أرض مصر التي نجت بفضل حكمة يوسف، فقد أخرج القمحَ المُخَزَّنَ ووزَّعهُ على المصريين بأسعارٍ زهيدةٍ.

ويذكر ابن جرير أنّ نبي الله يوسف كان لا يفتر عن ذكر الله تعالى ليلاً ولا نهاراً، وكان يستطلع خبر أبيه يعقوب في أرض كنعان، وبينما هو يمشي في بعض أزقّة مصر، وإذ بأعرابي راكب بعيرَهُ، وهو يقول: حمدتُ ربّي وهو الحميدُ، يبدي الخَلْقَ ويُعيدُ، ليس له ضدٌّ ولا ندٌّ عنيدُ، يفعلُ في خلقه ما يشاء وما يريدُ(❖).

فلمّا سمع يوسف (U) هذا التحميد من الأعرابي، علم أنه غريبٌ وليس من المصريين، فأقبلَ عليه وسلَّمَ وقال له: من أيّةِ بلادٍ أنتَ؟ فقال: من بلاد كنعان، من مراعي نبيِّنا يعقوب.

فلمّا سمع يوسف خبر أبيه وبلاده، صاحَ صيحةً عظيمةً، وخرَّ ساقطاً إلى الأرضِ. وعندما رأى الأعرابي ذلك نزل عن جمله وأقبل إليه، ورفع رأسَه عن الأرض وجعل يمسحُ الترابَ والدموع عن وجهه حتى أفاق من غشوته، ثمّ قال له:

يا مليحَ الخَلْقِ والخُلْقِ، أيحلُّ لك أن تفعل هذا بنفسك؟

فقال له: لمَّا ذكرتَ بلادي التي في الغربة رَمَتْني، لم أتمالك نفسي، فبالله عليك يا أعرابي هل تعرف النبيَّ يعقوب؟

فقال: وكيفَ لا أعرفه وهو نبيُّ الله بن اسحق بن إبراهيم خليل الله سبحانه، وبه نتوسّلُ إلى الله.

فقال يوسف: بالله عليك! في أيّ حالٍ تركْتَهُ، وكيف وَجَدْتَهُ؟

فقال: قد انحنى ظهرُهُ، واحترقَ كَبِدُهُ، وتضعضعت أركانه قبل أوانه، وقد تركَ الأهل والأوطان، وبنى له بيتاً في تلّ كنعان، وسمّاه بيتَ الهموم والأحزان، يبكي وينوح فيه على قرّة عينيه يوسف الصّدّيق، اختُطِفَ من بين يديه ولم يعلم أين هو؟ وعندما سمع يوسف (U) كلام الأعرابي زاد حزنه، وعلا نحيبه، وقال: يا ليتَ أمّي لم تلدني، يا ليت السباعَ أكلت لحمي، ومزّقت جلدي، ولا أصاب أبي وحبيب قلبي ما أصابه من أجلي.

(❖) البداية والنهاية لابن كثير..

فَرَقَّ قلبُ الأعرابي وجعل يبكي معه، فقال له يوسف: يا أعرابي أُحمِّلُكَ أمانةً، وأُودعكَ وديعةً، وأدعو لك دَعْوَةً تنالُ بها خير الدنيا والآخرة إن شاء الله تعالى

فقال الأعرابي: وما هي يا مليح الوجه واللسان واليد؟

فقال يوسف: إذا وصلتَ إلى تلِّ كنعان، فاذهب إلى باب يعقوب في هدأة من الليل، حيث يجيء وقت قيام الأنبياء لتهجّدهم لربِّ الأرض والسماء. فمتى سمعت بكاءه وأنينه وتضرّعه لخالقه وسيّده فناديه بقولك: السلامُ عليكَ أيّها المكظوم المهموم، لَكَ البشارة بقُرَّةِ عينكِ يوسف الصّدّيق. وإذا سألك عن الخالِ الذي على خدّي فقُلْ له: قد مَحَتْهُ الدموع.

فقال الأعرابي: أنتَ يوسفُ الصدّيق ابن نبي الله يعقوب..؟! يا شوق الأرض للسماء، وشوق العين للنور والضياء، وشوق يعقوب لخير الأنبياء. ثمّ ركب جَمَلَهُ وودّعه، وسار حتّى وصل أرض كنعان فلاقاه أولاده فرحين برؤيته وهمُّوا أن ينزلوه عن جملهِ، فقال لهم: والله لا أنزلُ عندكم حتّى أوصلَ رسالة يوسف الصدّيق إلى أبيه يعقوب عليهما السلام.

فلَمَّا نامتِ العيونُ، وأظلمَ الليلُ، وقامتِ الأنبياءُ لتهجّدها، تقدّم الأعرابي من خيمة يعقوب وتسمّع، فإذا به يبكي ويئنُّ. فنادى الأعرابي: يا نبيَّ الله! البشارةَ، البشارةَ.

فقام يعقوب وأراد الخروج فسَقَطَ، ثمّ قامَ فسقطَ، وكانَتْ عندهُ ابنةٌ فقامَتْ وأمسكَتْهُ على يده، وأخرجته حتى أوصلته إلى الأعرابي، فقال يعقوب (ʊ): يا أعرابي، بماذا تبشّرني؟

فقال: أبشّرك بحبيب قلبك ونور عينك، وفرحة مهجتك يوسف الصدّيق. فلمّا سمعَ يعقوبُ البشارة وكلامَ الأعرابي، سقطَ على الأرضِ مَغْشِيًّاً عليه، فلمّا أفاق **قال**: يا أعرابي أين رأيتَ ابني يوسف؟ فقال: في مصر وهو جالس على أحسن حال يصلُ إليه إنسان. فقال:

صِفْهُ لي. فقال: قد أوصاني أن أقولَ لكَ إذا سألتني عن الخال الذي على خدّه، أنّ الدموع قد مَحَتْهُ.

فقال يعقوب: يا ولدي وقرّة عيني إن كنتَ فقدت الخالَ بالدموع، فأنا فقدتُ العيون التي كنتُ أراكَ بها.

يا أعرابي: لا أجد ما أكافئكَ به، فباللّه عليك تقدّمْ ودعني أقبّل عيوناً رأتْ حبيب قلبي، وقرّة عيني يوسف.

فجعلَ يعقوب يقبّل عين الأعرابي ويقول: أهلاً وسهلاً ومرحباً بعيون رأتْ حبيبي، هي عيون لا تمسُّها النار بإذن اللّه تعالى، ماذا تطلبُ مني يا أعرابي، فكلّ ما تطلبه هو لك؟

فقال: أريد أن تدعو اللّه لي أن أكون رفيقك في الجنّة، وأن تهونَ عليَّ سَكَرَاتِ الموتِ وعذابَ القبرِ. فدَعَا له يعقوب بذلك وزاد في الدعاء له.

وقيل أنّ يوسف لمّا وزع على المصريين القمح(❖)، وصارَ الناسُ يتوافدون على مصر لشراء القمح، أرسل يعقوب أولاده لشراء القمح من مصر، قبل أن يكون له خبر يوسف في مصر من قِبَلِ الأعرابي، فقدم أبناء يعقوب العشرة على يوسف وقالوا له: نحن أبناء رجل واحد من أرض كنعان، وجئنا نشتري قمحاً. ولم يعرفوه وهو عَرَفَهُمْ فأراد أن يعطيهم عِبْرَةً لما فعلوه معه[1]. فقال لهم: اذهبوا وعودوا صباحاً لأخذ القمح. وكان قد أوصى أحد العبيد بوضع كأس من الذهب في أحد الأكياس الخاص بهم، فلمّا جاؤوا صباحاً وجدوا أكياسهم جاهزة، ففرحوا بأنَّهم حصلوا على القمح في هذه المجاعة. لكنّ يوسف وقبل أن يغادروا المدينة أرسل خلفهم عبداً يقول لهم: لماذا جازيتم شراً عوضاً عن خير، أليس ذلك الكأس الذي أخذتموه هو

(❖) التوراة سفر التكوين ـ الإصحاح 40 - 50

(1) قَالَ تَعَالَى: (وَجَاء إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ **{58}** وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ أَلاَ تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَاْ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ **{59}**) يوسف

الذي يشرب به سيّدي ويتفاءل؟ فقالوا: حاشا أن نفعل ذلك، والذي يوجد الكأس في كِيْسِهِ يموتُ، وكُلُّنا نصبح عبيداً لسيّدكَ.

فلمّا عادوا إلى يوسف وفتح كلّ واحدٍ كيسه بدءاً من الكبير وانتهاءً بالصغير، فوُجِدَ الكأس (الطَّاسُ) في كيس بنيامين. فقال يوسف: لمن هذا الكيس؟ فإنّي لا أرى صاحبه. فقالوا: هو لأخينا الصغير بنيامين، وقد بقي عند أبانا يعقوب وهو يخاف عليه كثيراً لذلك لم يجعله يأتي معنا. فقال يوسف: لا أعطيكم القمح حتى يأتي أخوكم الصغير. وعندما لم يجدوا بُدّاً من الأمر، عادوا لأبيهم وقالوا له: لقد مُنِع القمح عنّا حتى نذهب بأخينا بنيامين معنا. فقال يعقوب: هل سيكون مصيره كمصير يوسفَ من قَبْلِهِ. وعندما أقسموا له بالحفاظ على أخيهم سمح لهم. ولمّا عادوا ليوسف قال لهم: أنا لن أكونَ ظالماً لكم، ولذلك يمكنكم العودة وأخذ القمح، ولكنّ بنيامين سيبقى. فقال يهوذا كبيرهم: سيدي إنّ أبانا يعقوب النبي كان قد تزوّج غير أمّنا وأنجبَ منها ولدين، فأمّا يوسف فقد افترسه الوحش، ولم يبقَ لوالدنا غير بنيامين الصغير، فإن فَقَدَهُ يموت بعده، وأرجو أن ترفق بحال والدنا وهو شيخ كبير فَقَدَ بصَرَهُ بفَقْدِ يوسف، وأنا أبقى بدلاً منه وأكون لك عبداً أخدمكَ طول حياتي.

وعندما رأى يوسف إصرار إخوته على عدم التفريط بأخيهم الصغير، لم يملكْ نفسه من الحزن فصرخ: أخرجوا كلّ إنسان عني، فخرج كلّ الحرس والعبيد، وبقي إخوته، ثم تقدّم إليهم وقال: طالما أنّكم تحبّون أباكم وتخافون عليه كلّ هذا الخوف، وتحبّون أخاكم الصغير وتخافون عليهم، فلمَ قتلتم أخاكم يوسف؟ ثم أطلق صوتَه بالبكاء وقال:

أنا أخوكم يوسف. فلم يستطع الأخوة الإجابة، ثم صار يذكر أسماءهم واحداً تلو الآخر، ثم قال لهم: لا تخافوا لأنّكم بعتموني إلى مصر، فهي مشيئة الله، ولولا ذلك لمات خَلْقٌ كثيرون من القحط والجوع، لقد أرسلني الله أمامكم كي يجعل لكم بقيّة في الأرض، والله سبحانه قد جعلني على هذه الحال من الرِّفْعَةِ والشأن في بيت فرعون. أسرعوا وعودوا إلى أبي وقولوا له: لقد جَعَلَ الله يوسف سيّداً في مصر،

وهو يقول لك، انْزلْ إلى أرض مصر بكلِّ بنيكَ وأهلك وماشيتكَ لأنّ القحط سيبقى لخمس سنين أخرى.

ثمّ قَبَّلَ جميع إخوته وبكوا بكاءً عظيماً، ولمّا عرف فرعون خبر يوسف وإخوته طلب أن يُعطى الأخوةُ عرباتٍ وزَاداً، ليحمل بنو يعقوب متاعهم وحاجاتهم، وبعدها ارتحل يعقوب وبنوه إلى أرض مصر، وعاش يوسف مع قومه في أفضل الأراضي التي منحهم إيّاها فرعون.

وسبحان الذي يهدي لنوره مَنْ يشاءُ، يُذِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيُعِزُّ مَنْ يَشَاءُ، وهو على كلّ شيءٍ قديرٌ.

وقد عاش يوسف مئة وعشرين سنة، ورأى أبناء (أفرايم) ابنه للجيل الثالث، وأولاد ماكير بن مُنَسِّي. ثم دَنَتْ ساعةُ الحقِّ فقال لإخوته: ها أنا أموتُ، ولكن اللّه سيفتقدكم، ويصعدكم من هذه الأرض. ومات فحنَّطوه ووضعوه في تابوت في مصر. وقد ورد ذكر النبي يوسف عليه السلام في القرآن الكريم، حيث جاءت قصّتُه في سورة (يُوْسُفَ) وعددُ آياتها مئةٌ وإحدى عشْرةَ آيةً، إذ أنّ اللّه تعالى يقول:

W ((الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ {1} إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ {2} نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَـذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ {3} .....لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ {7} إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ {8} اقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضاً يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِن بَعْدِهِ قَوْماً صَالِحِينَ {9}..... قَالُواْ يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ {97})) C

وجاء ذكر يوسف (υ) وقضّيته مع إخوته في التوراة في سفر التكوين من الإصحاح السابع والثلاثين حتى الإصحاح الخمسين.

وهذا ما انتهى إلينا مِنْ خبرِ نَبِيّ اللّهِ يُوْسُفَ الصّدِّيقِ عليه سلام اللّه ورحمته.

والحمد للّهِ وحدَهُ لا شريكَ له، لَهُ الحمدُ ولهُ المُلْكُ وهوَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ.

8 ــ خَبَرُ النَّبِيِّ أَيُّوبَ (عليه السلام)

هو نبيّ اللّه الصابرُ المحتسبُ الأَوَّابُ أيوبُ بنُ مَوْصَ بنُ زَرَاحَ بنُ العَيْصِ بنُ اسحاقَ بن إبراهيم الخليل (ع)، وجدّته لأمّه هي راعوثا بنت لوط (ع)، كان يعيش في أرضِ عَوْص (أَرْضِ البُثَنْيَةَ من أرضِ جَبَلِ العَرَبِ)، كان كاملاً بالأخلاق مستقيماً، يتَّقي اللّهَ ويحيدُ عن الشرّ ودَرْبِهِ، وكان اللّهُ قد رزقه سبعةَ أولادٍ وثلاث بناتٍ وخيرات كثيرةً تُعَدُّ بالآلاف من المواشي والأغنام والجمال والأراضي والخَدَمِ والحَشَمِ[1]. وكان أن طَلَبَ الشيطان (لَعَنَهُ اللّهُ) من اللّه سبحانه أن يُجرِّبَ عبده أيوب، ليُثبت أنَّه ما يعبُدُ ربَّه ويتَّقِيْه إلاَّ لأنَّ اللّه سبحانه قد أعطاه كلّ ما يريدُ من الخيرات والنِّعَم والأولاد والصحَّةِ. فقال الشيطان (لَعَنَهُ اللّهُ) للّه سبحانه وتعالى: **(أليس أيوب يعبدكَ ويتَّقيكَ لأنَّكَ منحته بركتكَ؟ ولو أنَّك تركتَ يدكَ عنه ومنعته بركتك لوجدته يُجدِّف[2] ويكفر)**.

فقال اللّه سبحانه مع عِلمهِ المُسْبَقِ بما كان وسيكون: هو لك، كُلّ ما في يديهِ من أملاكٍ وأرزاقٍ هو بين يديك، ولكن إليه لا تقرب ولا تمد يدك. فقام الشيطان من ساعته ونزل إلى أيوب وذهب إلى مراعيه حيث المواشي بالآلاف فأَمَاتها جميعاً، وإلى الأراضي والأشجار فأيبسها وإلى الخدم والعبيد لم يُبْقِ منهم إلاَّ واحداً ذهب إلى أيوب وأخبره بما حَصَلَ. فقال أيوبُ: الحمد للّه الذي أعطى ودَفَع، والحمد للّه الذي أخذَ ومنَع، عرياناً خرجتُ من بطن أمي وعرياناً أعودُ إلى الأرض. ثمّ أنَّ أيوبَ سَجَدَ للّه وشكَرَهُ وَحَمَدَ نِعَمه وقال: **فليكُنْ اسمُ الله مُبارَكاً ممجَّداً**.

فَاغتاظَ الشيطان (لَعَنَهُ اللّهُ) لصَبْرِ أيّوب وشدّة إيمانه، فَطَلَبَ من اللّه سبحانه أن يُطْلِقَ يدَهُ على أولاد أيّوب، فأعطاهُ، فنزل الشيطان إلى المنزل حيث يسكن

---

(1) **الحَشَمُ للرَّجُلِ: خَاصَّتُهُ الذِّيْنَ يَغْضَبُوْنَ لِغَضَبِهِ ولِمَا يُصِيْبُهُ مِنْ مَكْرُوْهٍ، عَبِيْدَاً كانوا أو أهلاً .**

(2) **جَدَّفَ بالنِّعْمَةِ: كفر بها .**

أولادُ أيّوب وبناتُه، فهدم عليهم أركان البيت فماتوا جميعاً، وعندما عَلِم أيّوب بما جرى لأولاده قال صابراً محتسباً: الحمد للّه الذي أعطى وأخذ، فليكُنْ اسمُه مُبارَكاً ممجَّداً. فزاد غيظ الشيطان من صبْرِ أيّوب وتسليمه بقضاء اللّه سبحانه وإيمانه الشديد. فطلب أن يعطيه على أيّوب نفسِه إذ لم يَعُدْ يملك شيئاً إلاّ صحّته وجسمه، فأعطاه. فنزل الشيطان (لَعَنَهُ اللّهُ) إلى أيّوبَ وضَرَبَ جَسَدَهُ بقَرْح رديء سيّءٍ انتشر من أخمص قدمه إلى قمّة رأسه، فصار جالساً بين رماد وحجارة منزله هو وزوجته (رَحْمَة) يحكّ جلده بحجرٍ لشدّة ما كان يعاني من الآلام والأوجاع حتّى أنّ الدُّوْدَ صار يخرج من التقرّحات و أيّوب صابرٌ محتَسِبٌ مؤمِنٌ بقضاءِ اللّهِ وقدره، يقول: الحمد للّه في السرّاء والضرّاء، نحمده إذ كُنّا في خيراته وأرزاقه نَنْعَمُ ونَسْلَمُ، ونحمده إذ نحنُ في مِحْنتِهِ وبلائه نألمُ ولا من رحمتهِ وعفوهِ نسأمُ.

وقد عانى أيّوب وزوجته الكثير من الفقر والجوع، وكانت زوجتُه (رحمة) تحملُه في قُفّةٍ تجوبُ به المناطقَ وتطلبُ من الناس الطعام، لكنَّ الشيطان (لَعَنَهُ اللّهُ وخَزَاه) كان يسبقهم إلى كلِّ مكان يقصدونه فيحرّض الناس عليهم فلا يعطونهم الطعام، وحَدَثَ ذات مرّة أن قصَدَت رحمةُ بيتاً تطلبُ طعاماً وشراباً لزوجها، فرفضت صاحبة البيت أن تعطيها إلاّ بعد أن تعطيها ظفيرةً من شعرها، فوافقت مرغمةً مع علمها أنّ أيّوب لن يقبلَ بذلك، وعندما وصلت إليه ورأى ما حلّ بشعرها رفض تناول الطعام وطلب منها أن تعود وترجع الظفيرة، فرجعت، وفي هذه الأثناء أرسلَ اللّه سبحانه لأيّوب ملكين بصورة رجلين، فلمّا وصَلا ألقيا السلام على أيّوب، فردّ عليهما وقال: اِجْلِسَا واعذراني أن لم يعدْ عندي ما أقدّم لكما، فالحمدُ للّه الذي أعطى والحمد للّه الذي منع. فقالا له: طوبى لك يا أيّوب الصابر، نحنُ رُسُل ربِّ العزّة إليكَ، لقد نجحت في بلائِك، وكان إيمانُك وصبرُك نجاتك. خذْ هذه التفّاحة وكُلْهَا، وهذا الماء فاغتسِلْ به، فَهمَّ أن يقسِمَ التفاحة نصفين، فقالا: كُلْهَا وحِصَّةُ رحمة موجودةٌ. فما أن أكلها واغتسل بالماء حتى شفي بإذن اللّه وعاد كما كان صحيحاً شابّاً معافى فحمد ربَّه على نِعمته. ثم أعاد اللّه سبحانه على أيّوب ما كان عنده من أرزاقٍ مضاعفة فصار عنده أربعة عشر ألف من الغنم، وستّة آلاف من

الإبل، وألف فدّانٍ من البقر، وعوّض عليه في أولاده فرزقه سبعة أولاد وثلاث بنات جميلات يضرب المثل بجمالهن. وعاش أيّوب مئةً وأربعين سنة، ورأى أولاد بنيه إلى أربعة أجيال، ومات شبعان من عمره رحمة الله عليه، وما زال قصره حتى يومنا هذا موجود في بلدة (قَنَوات) في جبل العرب يُزَارُ من الناس. وقد وَرَدَ ذكر نبي الله أيّوب في القرآن الكريم في آيات كثيرة. إذ جاء في قوله تعالى:

W((وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ {83} فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ {84}))C سورة الأنبياء

W((وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ {41} ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ {42} وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَى لأُوْلِي الأَلْبَابِ {43} وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً فَاضْرِب بِّهِ وَلا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ {44}))C سورة الأنبياء

ووَرَدَ ذِكْرُ النبي أيوب (ʊ) في التوراة في سِفْرٍ كاملٍ يحمل اسمه مكوّنٍ من اثنين وأربعين إصحاحاً. جاء في الإصحاح الأول:

(كَانَ رَجُلٌ في أَرْضِ عَوْصَ اسْمُه أيّوبُ، وَكَانَ هَذا الرَّجُلُ كامِلاً مُسْتَقِيْماً يتَّقِي الله ويَحِيْدُ عَنِ الشَّرِّ....)

وهذا ما انتهى إلينا مِنْ خبرِ أيّوبَ النَبيّ وَصَبْره عَلى بَلْوَاه.

والحمد للّهِ وحدَهُ لا شريكَ له، لَهُ الحمدُ ولهُ المُلْكُ وهوَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ.

9 ــ خَبَرُ النَّبِيِّ لُوطَ (عليه السلام)

لوط عليه السلام هو رسول الله تعالى إلى المؤتفكات[1]، المدن التي قلبها الله تعالى على قوم لوط، وتقع قُرْبَ البحر الميّت. ولوط هو ابنُ أخِ إبراهيم الخليل(ʊ).

وقد أرسله الله إلى شَعْبِ هذه المُدُنِ الذي كفر بالله وطغى، ولم يترك موبقاً إلاّ واقترفه، ليدعوهم لِتَرْكِ ما هم عليه من الكفر والمعصية، وعبادة الله الواحد الأحد ويحذّرهم من غضبه وعقابه، فما آمَنَ منهم سوى ابنتيه، والأولى اسمها: (ريثاعا) وهي جدّة النبي شعيب (ʊ)، والثانية واسمها (راعوثا) وهي جدّة النبي أيوب (ʊ)، وأمّا زوجته فلم يتمكّن الإيمانُ من قلبها وإنّما أخفت ذلك وبقي الشكُّ يراودها. واستمرّ لوطٌ يدعو قومه لفترةٍ طويلةٍ دونَ فائدةٍ، فقدْ كانَ الكُفْرُ مغروساً في قلوبهم ودمائهم وعقولهم، وكانَ الشيطان (لَعَنَهُ اللّهُ) قد اتّخذ منهم أولياء، فلمَّا يَئِس لوط (ʊ) منهم ومن استجابتهم لدعوته وللإيمان نادى ربَّه قائلاً: ربّي انصُرني على القوم الظالمين المُفْسِدين. فاستجاب الله سبحانه لدعائه، وبَعَثَ إليه أربعة من الملائكة في صورةٍ بشريةٍ، فلمَّا أقبلوا على لوط ورآهم بهذه الصورةِ الجميلةِ اغتمَّ غمّاً شديداً، وخاف عليهم من شرّ قومه وفسادهم، وقال: **إنّ هذا اليومَ لَعَظيمٌ، أرجو أن يصيّره الله على خيرٍ.**

وقد أقبل الملائكة على لوط وهو يحرث أرضه يريد زراعتها، وكان جبريل عليه السلام كأنَّه الثلجُ بياضاً، وعليه وشاحٌ من الدرّ المنظوم وهو برَّاق الثنايا[2]، أجلى الجبين، وأسنانه حَبْك مثل المرجان[3]. فخاف لوط على ضيوفه، ولم يكن

---

(1) المُؤْتَفِكَاتُ: هي المدنُ التي قَلَبَها اللهُ سبحانه على أهلها، وهي كثيرةٌ مِنها سَدُموم وعامورة (مدن قوم لوط)، وعادُ (مدينة قوم هود) وثمودُ (مدينة قوم صالح).

(2) الثَّنايا: الأضراسُ الأربعُ في مُقَدِّمِ الفَمِ، اثنتانِ في الأعلى، واثنتان في الأسفل .

(3) وأجلى الجبين : ناصعُ الجبين . والأسنَانُ الحَبْكُ : الأسنانُ المنتظمةُ المتراصّةُ.

يعرف أنهم ملائكة اللّه أرسلهم لخلاصه وعقاب المُفْسِدين، وكانوا قد أتوا بصورة الأضياف إلى لوط، وكان قوم لوط يقصدون الأضياف بالفاحشة، وكان من دينهم رَسْمُ الوَشْمِ على كافّةِ أنحاء أجسادهم بصُوَرٍ شيطانية، قبَّحهم اللّه من قومٍ.

ثمّ مضى لوط راجعاً من حَرْثِهِ، والنِّيْرُ على كتفه، ومعه الضيوف (الملائكة) وهو يفكر كيف سيحميهم من شرّ قومه، فساروا حتى دخلوا منزله خِفْيةً، وأغلقَ لوطٌ البابَ خوفاً من شرّهم لكنّ القوم عَلِمُوا بأمر الأضياف، فأقبلوا على دار لوطٍ وكسروا الباب ودخلوا عليه، فقالوا: لقد عرفنا أنّ لديكَ ضيوفاً فسلِّمْنا إيّاهم.

فقال لوط: إنّ هؤلاء ضيوفي فلا تفضحوا واتّقوا اللّه وغادروا. ثمّ إنّه وقفَ على الباب وقال: لا أسلّمكم أضيافي دون أن تذهبَ نفسي وتمرّوا فوق جسدي، أو يأتيني أمرٌ ولا أقدرُ أن أدفعه. فتقدّمَ بعضُهم ولَطَمَ لُوْطَاً على وجهه، وأخذ بلحيته ودفعه على الباب، فقال عليه السلام:

إلهي وخالقي، خُذْ بحقّي من قومي الكفّارِ، وإلْعَنْهُم لَعْنَاً وبيلاً[1] وتوجّه نحو الأضياف وقال لهم: (**إنَّ لي بكم قوّةً، أو آوي إلى ركنٍ شديدٍ**). فعندها وَثَبَ جبريلُ عليه السلامُ إلى البابِ وطَمَسَ على أعينِ القومِ، فلم يعودوا يبصرون شيئاً، ولم يهتدوا إلى الخروج حتى أخذ بأيديهم الذين أتوا بعدهم. وقال جبريلُ (ʊ): (**يا لوطُ! إنّ ركنَك لشديدٌ، وإنّا رسُل ربِّكَ إليكَ، لن يصلوك ما دام الله معك، فَسِرْ بأهلِكَ بقِطَعٍ من الليل أنت وأهلكَ، ولا تلتفتْ أحدٌ منكم وراءه مهما سمعَ أو حَدَثَ**).

وفي هذه الأثناءِ كانَ قومُ لوطٍ قد غادروا بيته غاضبين قائلين: إنّ في بيت لُوطٍ أسحَر قومٍ في الأرضِ. فَصَبْرَاً يا لوطُ حتى نُصبحَ ونُريكَ ما سنفعله بك وببناتكَ.

فمضى لوط من داره ومعه زوجته وابنتيه ومتاعه في الوقت الذي حدّده له جبريلُ (ʊ) دون أن يشعر به أحدٌ، واستمرّ يمشي دون توقّف، ولمّا برز عمودُ الصباح، صَاحَ جبريلُ (ʊ): يا بِئْسَ صباحُ قومٍ كافرين وصاحَ مَنْ مَعَهُ من الملائكة مثل صيحته. ثم

---

(1) **اللَّعْنُ الوَبِيْلُ: الشَّديدُ والمُهْلِكُ والمُمِيْتُ.**

أدخلَ يدَه تحت المدائنِ ورفعها نحو السماء بجبالها ودورها ومزارعها وأشجارها وأنهارها، وقلَبها إلى الأرض وقالَ:

فلَّما جاء أمر ربّكَ جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجّيل[1]. وجعل يخرج من تلك المدائن دخانٌ أسودُ مُنْتِنٌ. وكان لوط يسيرُ مع أهله وقد أمرهم ألاّ ينظروا خلفهم مثلما أمره جبريل (U) إلاّ أنّ زوجة لوط لم تستطع إلاّ أن تنظر لترى ما حلّ بالمدائن فأصابتها الرجفة[2] وهمدت في مكانها، فتركها لوط وتابع مع ابنتيه، إلى حيث شاء الله أن يمضوا.

وقد بَقِيَتْ آثارُ تلكَ المدائنِ حتَّى الآن، وقد تحوَّلت إلى بحيرةٍ تُسَّمى (المُنْتِنَةُ)، وهي المعروفة بيومنا هذا باسم (بحيرة لوط) (البحر الميت) بين الكرك والقدس، وماؤها شديد الملوحة، فلا يعيش فيها سمك أو أيّة مخلوقات بحرية. وقد قيل في هذا الخبر شعرٌ يقولُ:

حُــقَّ الفَخَــارُ لِمَــنْ لَــهُ جِبْرِيْــلُ
يَــأْتِي وَمَعَــهُ يَصْــدُرُ التَّأْوِيْــلُ
عَلَــتْ مَكَانَتُــهُ فَعَــزَّ مَكَانُــهُ
وَتَأَكَّــدَ التَّنْزِيْــهُ والتَّفْضِــيْلُ
مَلِــكُ المُلُــوكِ أَعَــزَّهُ فَجَمِيْــعُ مَــنْ

---

(1) قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ {82}﴾ هود

(2) قَالَ تَعَالَى:﴿ قَالُواْ يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُواْ إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ {81}﴾ هود

قَالَ تَعَالَى : ﴿وَإِنَّ لُوطاً لَّمِنَ الْمُرْسَلِينَ {133} إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ {134} إِلَّا عَجُوزاً فِي الْغَابِرِينَ {135}﴾ الصّافات

يَلْقَـــاهُ فِي هَـــذَا الوُجُـــودِ ذَلِيْـــلُ

وقد ورد ذكر النبي لوط في أكثر من سورة في القرآن الكريم، فقد جاء خبره في سورة هود، والصَافات، ص، الأنبياء. حيث قَالَ تَعَالَى:

W ((وَلُوطاً آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ {74})) C (

الأنبياء)

وهذا بعض ما انتهى إلينا مِنْ خبرِ لُوْطَ النَبيّ عليه السَّلاَمُ.

والحَمْدُ والشّكرُ للمَلِكِ العَلاَّم، قاهر الفاسقين، وَرَبّ الأَنام، وحدَهُ لا شريكَ له، لَهُ الحمدُ ولهُ المُلْكُ وهوَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ.

10 ــ خَبَرُ النَّبِيِّ موْسى (عليه السلام)

النبي موسى كليم اللّه سبحانه، هو ابن عمران بن قاهث بن عازر بن لاوي بن يعقوب بن اسحق بن إبراهيم (υ)، أرسله اللّه سبحانه ليخلّص بني إسرائيل من ظلم فرعون لهم، وأرسل معه أخاه هارون يساعده كونه كان فصيحاً بليغاً[1].

وكان خبر ولادته، أنّ فرعونَ أمَرَ بقَتْلِ كلّ مولود ذكر لبني إسرائيل لأنّ عَرَّافِيْهِ أخبروه بأنّ رجلاً سيخرج منهم ويكون هَلاَكُ مُلْكِ فرعونَ على يديه، لكنّ اللّه سبحانه نجّاه[2] وجعله يربى وينشأ في كنف عدوه فلما صار موسى (υ) شاباً أرسله اللّه إلى فرعون يدعوه لعبادة اللّه، لكنَّ فرعون أبى واستكبر وتجبّر، وقد أيَّد اللّه سبحانه موسى بمعجزاتٍ كثيرة لكنَّ فرعون كَفَر بها كُلِّها، وعندما عَجِزَ فرعون عن مُجَابهة آيَات اللّه على يدي موسى قَبلَ أن يخرج بنو إسرائيل مع موسى بعد أن أرسلَ اللّه عليه وعلى قومه مرضاً لا علاج له وفَقَدَ بهِ اِبْنَهُ. فلَمَّا وَافَقَ عَلَى خروجِ بني إسرائيل دَعَا له موسى ربَّه فشفاهُ وقومه من المرضِ.

وَكانَ من خبر موسى عبور البحر إذ انشقَّ له، وأطبقَ على فرعون الذي عَاوَدَ كفرَه وتجبّره، وقد خلّصَ اللّه الناس من فرعون وشرّه.

وكان ذاتَ مرّة أنّ موسى قامَ خطيباً بالنَّاسِ فَسُئِلَ: أيُّ النَّاس أعلمُ؟ فقالَ: أنا. فَعَتِبَ اللّه سبحانه عليه إذ لم يَرُدَّ العِلْمَ إليهِ، فأوحى إليه: أنَّ لي عَبْداً بمجمع

---

(1) قَالَ تَعَالَى : (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصاً وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيّاً {51} وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيّاً {52} وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيّاً {53}) مَرْيَم .

(2) قَالَ تَعَالَى:(وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ {7} فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوّاً وَحَزَناً إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ {8}) القَصَص.

البحرين[1] هُوَ أعلمُ منك. فقال موسى: رَبِّ وكيفَ لي به؟ فقال له: تأخذُ معك حُوْتًا ميْتًا فَأينما فَقَدْتَ الحوتُ(2) فهو هناك. ففعل موسى ما أمره الله سبحانه وأخذَ معه حُوتاً وسار معه فتاه يوشع بن نون حتى وصَلاَ شاطئ البحر الأحمر، ولّما وصَلاَ صخرةً كبيرةً شعَرا بالتَعَب فوضَعَا رأسيهما فناما، فأحيا الله سبحانه الحوت في الزنبيل[3] ثم اضطرب فخرج منه فسقط في البحر واتخذ سبيله في البحر سَرباً، فأَمسك الله سبحانه الماء عن الحوتِ في جَرْيهِ، فصارَ الماءُ حوله مِثْلَ الطَّاق. فلمَّا استيقظا نَسِيَ يوشع أن يخبر موسى بخبر السمكة العجيبة، فانطلقا بقيّة يومهما وليلتهما فلمّا كان الغدُ، سأل موسى فَتَاهُ عن السمكة ليتناولاها بعدما شعَرا بالجوع والتعب (يذكر ابن كثير في كتابه البداية والنهاية أنّ يوشع شاهَدَ الحوتَ يسقط في البحر فتعجّب من أمره، فقال لا أوقظه وعندما يستيقظ أخبره، فلمّا استيقظ موسى جعل الشيطان يُراوِد رأس يوشع حتى نَسِيَ أن يخبر موسى)[4].

وعندما لم يَجِدَا الحوت عادا أدراجهما يقصّان أثرهما حتّى انتَهَيا إلى الصخرة فَوجَدا الخَضِرَ عليه السلام جالساً على ثوبٍ أخضرَ فوق الصخرة فَسَلَّمَ عليه موسى، فقال الخَضِرُ: وأنَّى بأَرضِكَ السلامُ؟ أنت موسى بن عمران؟ قال: نعم. أتيتُكَ لتعلّمني ممّا عُلِّمْتَ رشداً. فقال الخضر: أما يكفيكَ أنّ التوراةَ بيديكَ، وأنّ الوحيَ يأتيكَ يا موسى! إنّ لي عِلْماً لا ينبغي لكَ أن تعلَمَه، ولكَ عِلْمٌ لا ينبغي لي أن أعْلَمَهُ. فقال موسى: ستجدني إن شاء الله صابراً لا أعصي لك أمراً. فقال الخضِرُ: إنْ تتبعني ومهما شاهدتَ من أمري عجباً فلا تسألني حتى أخبرك بأمره. قال موسى:

---

(1) : مَجْمَعُ البَحْرَيْنِ : مَكَانُ الْتِقَاءِ خليْج إيلات فَرْعَيْ البَحْرِ الأحمرِ .

(2) الحُوْتُ : السَّمَكَةُ الكَبِيْرَةُ الضَّخْمَةُ، وَيُطْلَقُ عَلى السَّمكِ عَامَّةً

(3) الزنبيلُ : القُفَّةُ مِنْ جِلْدٍ أو غَيْرِهِ.

(4) قَالَ تَعَالَى:(فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَباً {61} فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَباً {62} قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَباً {63}) الكهف

هو كذلك إن شاء الله. ثمّ انطلقا يمشيان على ساحل البحر، فمرَّت سفينة فكلَّمهم أن يحملوهم، فعَرفوا الخضر (υ) فحملهم بغيرِ عطاءٍ وبقي يوشع على الساحل، فلمّا ركبا السفينة قلعَ الخضرُ (υ) من ألواح السفينة لوحاً بالقَدُّوم فقال موسى (υ): عجبَاً ما فعلتَ، قومٌ حملونا بغير مقابل فتخرم سفينتهم؟ فقال له: ألَمْ أقل لكَ ألاَّ تسألني، إنّك لن تستطيع معي الصبر. فقال موسى: لا تؤاخذني فقد نَسِيْتُ[1]. فجاء عصفور فوقع على حَرْفِ السفينة فنقرَ في البحر نَقْرَةً، فقال الخَضِرُ ما عِلْمي وعِلْمُكَ وعِلْمُ الخلائق كلّها في عِلْم الله إلاّ مثل ما نقَّص هذا العصفور من هذا البحر.

ثم خرجا من السفينة، فبينما هما يمشيان على الساحل إذ بَصُرَ الخَضِرُ بين الغِلْمانِ غلاماً يلعب، فأَخذ رأسَهُ بيدهِ فاقتلعَهُ فقتَلَهُ، فصَرخ موسى مُنكِرَاً ما رأى: أقتلتَ نفساً بغير ذنبٍ أو وَجْهِ حَقٍّ؟ فقال له: ألم أقل لك أنك لن تستطيع معي صبراً. فقال موسى: إن سألتُكَ عن شيء بعدها فلا تصحبني.

ثمّ سارا حتى وَصَلا قرية فطلَبا من أهلها الطعام فلم يعطوهما، فذهَبَا إلى أطرافها فوجدا جداراً يكادُ يَسقطُ، فأقامَهُ الخَضِرُ بيده، فقال موسى عَامِداً: قومٌ أتيناهم فلم يعطونا ولم يضيّفونا فتصلح لهم جداراً، لو أنّك أخذتَ أجراً على هذا لكنّا اشترينا به طعاماً. فقال له الخَضِرُ: هذه ثالثُ مرّةٍ تسألُ دون أن أخبركَ، وسوف يكون فراقٌ بيني وبينك. وقبلها سأخبرك بتفسير ما لم تستطع أن تصبرَ عليه دون سؤالٍ... فَاعْلَمْ أنّي لا أفعلُ شيئاً إلاَّ من وحي الله سبحانه. فأمّا السفينةُ التي رأيتني خرقتُها، فإنّ لهؤلاء الرجال ملك يأخذُ كل سفينةٍ جيدةٍ غَصْبَاً، فأَردتُ أن أجعلها ذاتَ عَيْبٍ فيتركها، فإذا جاوزوه أصلحوها وانتفعوا بها، وأمّا الغلامُ فقد كان كافراً ظالماً، وأبواه مؤمنان فخشينا أن يحملَهما حبُّهُ على أن يتبعاه على كفره، والله سبحانه سوف يعوّضهما عنه خيراً أولاداً بَرَرَةً مؤمنين، وأمّا الجدار

---

(1) قَالَ تَعَالَى: (قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً {72} قَالَ لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْراً {73}) الكهف

فقد كان لغلامين يتيمين في المدينة، وقد خبّأ والدهما قَبْلَ أن يموتَ كنزاً لهما حتى يكبرا ويسترجعاه، فلو سقطَ الجدارُ لَعَثَر النَّاسُ على الكنز وَضَاعَ على الغلامين. فهذا هو خبر ما لم تستطع أن تصبر عليه. ثمّ أنّ الخَضِر عليه السلام تركه وانصرف عنه[2].

وقد ورد خبر موسى مع الخَضر عليهما السلام في سورة الكهف من الآية (60) حتى الآية (82)، وورد خبر موسى في أكثر من سورة، كَسُورةِ (مَرْيَم)، (القَصَصُ). كما ورد خبره في التوراة في سِفْرِ الخروج، رغم أنّ خبره مع الخضر (ʊ) لم يُذكر كونه يظهر تسرّع موسى وقلّة صبره، وهذا ما يحاول اليهود إخفاءهُ وعدمَ ذِكرِهِ.

هذا بعض مِنْ أخبارِ نَبِيّ اللّه وكَلِيمِه موسى عليه السَّلاَمُ.

والحمد للّه رب العالمين، وأفضل الصلاة على خير المرسلين وآله أجمعين.

(2) قَالَ تَعَالَى:(أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً {79) الكهف

11 ــ خَبَرُ الخَضِر (عليه السلام)

لقد اختُلِفَ في اسم الخَضِر ونسبتهِ ونبوّته وحياته. حيث يذكر ابن عَسَاكر أنَّ الخَضِر ابنُ آدمَ لِصُلْبِهِ ونُسِئَ له في أجَلِهِ حتى يكذِّبَ الأعورَ الدجَّالَ. ويذكر أبو حاتم السجستاني أنّ الخَضِر (ʊ) هو: خضرون بن قابيل بن آدم (وهذا كلامٌ موقوفٌ عِنْدَنا كَوْن المصادر جميعها لم تذكر أنَّ قابيل تزوّج وأنجبَ)، ويذكر ابن قتيبة أنّ اسم الخَضِر هو: إيليا بن ملكان بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح.

أمّا ابن اسحق فيذكر أنَّ آدم (ʊ) لمَّا حضرته الوفاة أخبر بَنِيْه أنَّ الطوفان سيقعُ بالنّاس وأوصاهم إذا كان ذلك أن يحملوا جسَدهُ معهم في السفينةِ وأن يدفنوه في مكانٍ عيَّنَهُ لهم. فلمّا كان الطوفان حملوه معهم، فلمَّا هبطوا إلى الأرض أمَرَ نوح بَنِيه أن يذهبوا ببدن آدم فيدفنوه حيث أوصاهم، فقالوا: إنَّ الأرض ليس بها أنيس وعليها وحشة. فحرّضهم وحثَّهم على ذلك وقال: إنَّ آدم (ʊ) دَعَا لِمَنْ يلي دفنه بطول العمر. فلم يزل عندهم جَسَدُهُ حتى كان الخَضِر الذي تولىّ دفنه، وأنجز الله وعده، فهو يحيا إلى ما شاء الله له أن يحيَا.

وقالَ البخاريُّ أنَّ الخَضِرَ لَقَبٌ له لأنَّهُ جَلَسَ على فَرْوَةٍ بيضاء فإذا هي تهتزُّ من خلفه خضراء. وكان الخَضِرَ (ʊ) نبيَّاً أعطاهُ الله سبحانه عِلْماً لم يختصّ به مَنْ قَبْلَه ولاَ مَنْ بعده. ولِمَكَانَتِه وعلمه الذي عَلَّمه إياه الله سبحانه أوحى الله سبحانه لنبيّه موسى (ʊ) أن يطلبَ الخَضِرَ ليزدادَ علماً. فَصَحَبه وأجرى الله سبحانه على يدي الخَضِرَ من الآيات البيّنات المذكورة في سورة الكهف الآيات من /66/ حتّى /70/. ولمَّا أراد موسى أن يفارق الخَضِرَ قال له: أوصني، فقالَ الخَضِرَ عليه السَّلاَمُ: «**كُنْ نفّاعاً ولا تكْن ضرَّاراً، كُنْ بشَّاشاً ولا تكنْ غضباناً. اِرجعْ عنِ اللّجاجةِ ولا تمشِ في غير حَاجةٍ، وَلا تضحكْ إلاَّ من عَجَبٍ. يا طالبَ العِلْمِ إنَّ القائلَ أقلُّ ملامةٍ من**

المستمعِ، فلا تُملَّ جُلَساءكَ إذا حادثتَهم، واعلمْ أنَّ قَلْبَكَ وعاءٌ فانظرْ ماذا تحشو بهِ وعاءَكَ، واغرِفْ من الدنيا وانبذْهَا وراءكَ فإنَّما ليستْ لكَ بدارٍ، ولا لكَ فيها محلُّ قرارٍ. وإنَّما جُعِلَتْ بُلغةً لِلْعِبَادِ والتزوّد منها ليومِ المَعَادِ. وَرُضْ نفسكَ على الصَّبْرِ تخلصْ من الإثمِ. يا موسى! تفرَّغْ للعلمِ إنْ كُنْتَ تريده فإنَّما العلمُ لَمَنْ تفرَّغ لهُ... يا موسى تعلَّمْ ما تعلَّمْتَ لتعملْ بهِ، ولاَ تعلَّمه لُتحدِّثَ بهِ فيكونُ عليكَ بَوَاره ولغيركَ نوره. واجعلِ الزهدَ والتقوى لباسَك والعلمَ والذِّكرَ كلامَكَ، واستكثرْ منَ الحَسَنَاتِ فإنَّكَ مُصيبٌ السيئاتِ فإنَّ ذلك يُرضي ربَّكَ، واعمل خيراً فإنَّكَ لا بدَّ عاملٌ سوءاً. قد وَعظْتُ إنْ حَفِظْتَ».

وقال أبو نعيم الأصبهاني: «بينما الخَضِرُ يمشي في سوق بني إسرائيل أبصره رجلٌ مُكاتبٌ، فقال: تصدّق عليَّ باركَ اللّه فيكَ. فقالَ الخَضِرُ: آمنتُ باللّهِ ما شاءَ اللّه من أمرٍ يكونُ، ما عندي من شيءٍ أعطيك إيَّاه. فقال المسكينُ: أسألُكَ بوجه اللّه أمّا تصدّقت عليَّ، فإنّي نظرتُ إلى السماءِ في وجهكِ ورجوتُ البركةَ عندكَ؟ فقال الخضر هلمّ معي إلى السوق وبعني وانتفع بثمني. فقال المسكين: وهل يستقيم هذا؟ قال: نعم. لقد سألتني بأمرٍ عظيمٍ، أما أنّي لا أخيِّبك بوجه ربّي. ثمّ سار أمامه إلى السوق فباعه بأربعمئة درهم. فمكثَ عند المشتري زماناً لا يستعمله في شيءٍ، فقال له: إنَّكَ ابتعتني التماس خيرٍ عندي فأوصني بعملٍ. قال: أكرهُ أن أشقَّ عليكَ إنَّكَ شيخٌ كبيرٌ ضعيفٌ. قال: ليس يشقّ عليَّ. قال: فانقُلْ هذه الحجارة، وكان لا ينقلها دون ستّة أنفارٍ في يومٍ، فخرج الرجلُ لبعض حاجاته ثم انصرف ولمّا عاد بعد ساعةٍ وجدَهُ قد نقل الحجارة. فقال: أحسنتَ وأجملتَ وأطقتَ ما لم أرك تطيقَهُ. ثم عرض للرجل سفرٌ فقال: إني أحسبُك أميناً فاخلفني في أهلي خلافةً حسنةً.

قال: فأوصني بعمل. قال: إني أكره أن أشقَ عليك. قال: ليس تشقّ عليّ. قال: فاضربْ من اللِبْنِ لبيتي حتى أقدِمَ عليكَ. فمضى الرجلُ لسفرِهِ، فرجَعَ وقد شُيِّدَ بناؤه. فقال:أسألكَ بوجه اللّه ما سبيلك؟ وما أمرك؟ فقال: سألتني بوجه اللّه، والسؤال بوجه اللّه أوقعني في العبودية، سأخبرك، أنا الخَضِرُ الذي سمعتَ به. سألني مسكينٌ صدَقةً ولم يكنْ معي شيءٌ فأمكنتُهُ من رقبتي فباعني. فقال الرجلُ: آمنتُ باللّه، شققتُ عليكَ يا نبيَّ اللّه ولم أعلمْ، فاطلبْ ما تشاء. فقال: أحبُّ

أن تخلي سبيلي فأعبد ربّي. فخلّى سبيله فقال الخَضِرُ: الحمد لله الذي أوقعني في العبودية ثم نجّاني منها...».

ويذكر ابن الجوزي في كتابه (عُجَالةُ المنتظِر في شرح حَال الخَضر):

«كان الخَضِرُ وإلياس أخوين، وكان أبوهما ملكاً، فقال إلياس لأبيه إنَّ أخي لا رغبة له في المُلْك، فلو أنَّك زوّجته لعلّه يجيء منه ولد يكون الملكُ له. فزوّجه أبوه بامرأةٍ حسناء بِكْرٍ، فقال لها الخَضِرُ: إنَّي لا حاجة لي في النساء، فإنْ شئتِ أطلقتُ سراحك، وإنْ شئتِ أقمتِ معي تعبدين الله عزَّ وجلَّ وتكتمين عليَّ سرّي؟ فقالت: نعم. وأقامت معه سنة، ثم دعاها الملكُ فقال لها: إنّكِ شابّةٌ وابني شابٌّ فأين الولَدُ؟ فقالت: إنّما الولدُ من عند الله إن شاء كان، وإن لم يشأ لم يكنْ. فأمره أبوه فطلّقها، وزوّجه بأخرى ثيّباً قد وُلِدَ لها. فلمّا زُفّت إليه قال لها كما قال للتي قبلها، فأجابت إلى الإقامة عنده، فلمّا مضت السنةُ سألها الملكُ عن الولد فقالت: إنَّ ابنَكَ لا حاجة له بالنساء. فلمَّا طَلَبَهُ هَرَبَ. ثمّ حَدَثَ أن كانت زوجتُهُ الأولى تعبد الله في بعض النواحي، فمرَّ بها رجلٌ فسمعتْهُ يقول (بسم الله) فقالت: أنَّى لكَ هذا الاسم. فقال: إنّي من أصحاب الخَضِر. فتزوّجته فولدت له أولاداً، ثمّ صارت هذه المرأةُ ماشطة ابنة فرعون التي ذكرها الرسول الكريم (J) في حديثه الذي رواه ابن عباس عن أُبي بن كعب (أنَّه لمّا أُسْرِيَ به وَجَدَ رائحةً طيّبةً، فقال: يا جبريلُ ما هذه الرائحة الطيّبة؟ فقال: هذه ريحُ قبر الماشطة وابنتها وزوجها). وكان من خبر ماشطة ابنة فرعون أنّها بينما هي يوماً تمشّطها إذ وَقَعَ المشط من يدها فقالت (بسم الله)، فقالت ابنة الفرعون: أتعنين أبي؟ فقالت: لا. ربّي وربُّكِ وربُّ أبيكِ هو الله فأعلمتْ أباها، فأمَرَ بنُقْرَةٍ من نُحاسٍ فأُحْمِيتْ، ثمّ أمر بها فأُلقيت فيها، فلمّا رأتْ ذلك رجَعَتْ إلى الخلف لأنّها كانت تحمل طفلها الصغير، فقال لها ابنها: يا أمّاهْ اصبري فإنَّكِ على الحقِّ، فأَلقَتْ نفسَها في النار فماتت رحمها الله.

ويذكر ابن عساكر عن سفيان الثوري عن علي بن أبي طالب (كرَّمَ الله وجهه): أنّه بينما كان عليّ بن أبي طالب يدخل ليطوف بالكعبة ليلاً، فإذا برَجُلٍ متعلّقٍ بأستار الكعبة وهو يقول: يَا مَنْ لا يشغلُه سَمَعٌ عن سَمَعٍ، ويا مَنْ لا يَغْلِطُهُ

السائلونَ، ويا مَنْ لا يتبرّم بإلحاح المُلحِّين ولا مسألة السائلينَ. ارزقني بَرْدَ عَفْوِكَ وحلاوةَ رحمتِكَ. فقال له عليّ: يا عبدَ اللّهِ أعِدْ دعاءَكَ هذا. قال: أوَقَدْ سمِعْتَهُ؟ قال: نعم. قال: فادْعُ به في دبر كلّ صلاة، فوالذي نفس الخَضِرُ بيده، لو كان عليك من الذنوب عدد نجوم السماء ومطرها وحصباء الأرض وترابها لَغَفَرَ لكَ أسرع من طرفة عينٍ.

وقد ذُكر أن اللّه سبحانه مَنَحَ الخَضِرَ عُمراً طويلاً لا يعلمه إلاّ اللّه، وهو ينتقل في الأرض من مكان لآخر[1] لذلك كثرت المقامات التي تُزارُ باسم الخَضِر، وفي البلدة التي أسكنها مقام لنبي اللّه الخَضِر عليه السَّلاَمُ يُزار من الناس للتبرّك به.

وهذا ما وَصَلَنَا مِنْ خبرِ نَبيّ اللّه الخَضِرُ عليه السَّلاَمُ.

والحمد للّهِ ربِّ العَالمين إله الأوّلينَ والآخرينَ، وحدَهُ لا شريكَ له، لَهُ الحمدُ ولهُ المُلْكُ وهوَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ.

(1) يُعْرَفُ الخَضِرُ لَدَى النَصَارَى بالقدِّيس جُوْرجيُوس، وَهُوَ الّذي يَقْتُلُ التّنِّينَ رَمْزَ الدَّجَّالِ الذي سَيَظْهَرُ في آخر الأوْقاتِ، وَهُمْ يُصَوِّرُونَهُ على شكْلِ فَارِسٍ فَوْقَ جَوَادِهِ، يَطْعَنُ التِّنِّينَ بِرُمْحِهِ، وَعَلَيْهِ حُلَّةً خَضْرَاءَ. و الخَضِرُ عند المُوحِّدينَ هُوَ أَوَّلُ الحُدُوْدِ الخَمْسَةِ « العَقْلِ » عليه السَّلاَمُ .

obeikan.com

12 ــ خَبَرُ النَّبِيِّ ذي الكَفَلِ (عليه السلام)

زعَم قومٌ أنّه ابن أيّوب حيث ورد ذكره في سورة الأنبياء[1]، وسورة ص بعد قصة أيوّب، وقد ذكر مع الأنبياء فهو نبي الله عليه الصلاة والسلام، رغم أنّ آخرين زعموا أنّه رجلٌ صالحٌ لا نبي.

وكان ذو الكَفِل قد تكفّل بني قومه أن يكفيهم أمرهم من المشورة والنصح ويقضي بينهم بالعدل لما أمر الله سبحانه وتعالى.

وذكر أبو حاتم السجستاني: لمّا كبر اليسع جمعَ قومه وقال لهم: سوف أستخلف فيكم رجلاً صالحاً يعمل لكم ويحكم بينكم بالعدل، فَمنْ يقوم بأمورٍ ثلاثةٍ أستخلفُهُ، حيث يصوم النهار، ويقوم الليل ولا يغضب. فقام ذو الكفل وقال: أنا لما تريد. وكان ذو الكفل صغير الجسم، فقير الحال بين قومه، فقال له اليسع: أنت تصوم النهار وتقوم الليل ولا تغضب؟ قال نعم: فردّ اليَسْعُ قومه ليومٍ آخر، فلمّا جَمَعهم ثانيةً وسأل مثلهم، قام ذو الكفل فقال: أنا. فقال اليسع: لك ذلك. فلمّا كان النهارُ قامَ إبليسُ (لَعَنَهُ اللّه) وقال لأتباعه: عليكم بذي الكفل، أبعدوه عن غايتِهِ، ولا توصلوه مقصَدَهُ. فأعياهم ذلك ولم ينجحوا في ردّه عن صومهِ وقيامهِ، ولم يفلحوا في إغضابه. فقال لهم إبليسُ (لَعَنَهُ اللّهُ): دعوني وإيّاه. فأتاه في صورة شيخٍ كبيرٍ فقيرٍ في وقت قيلولة ذي الكفل التي لا ينام غيرها ليلاً ولا نهاراً يريد من ذلك أن يحرمه القيلولة في النهار ليجعله ينام ليلاً، فدقَّ البَابَ، فقال له: مَنْ هذا؟ فقال شيخٌ كبيرٌ مظلومٌ. ففتَحَ له البابَ فدخَلَ، فجعلَ يقصُّ عليه أخباراً وأحاديث كاذبة كثيرة، يريد بذلك أن تمرَّ فترة القيلولة. فلمّا مَضَتْ قال ذو الكفل له: إذا جاء الغدُ

---

(1) قَالَ تَعَالَى: (وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنْ الْأَخْيَارِ **{48}**) سورة ص

قَالَ تَعَالَى أيضاً : (وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ **{85}** وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُم مِّنَ الصَّالِحِينَ) الأنبياء

ورأيتَنِي قد جلستُ بين القوم فأتني آخذُ لك بحقّكَ. فذهبَ إبليسُ (لَعَنَهُ اللّهُ)، وعندما أخذ ذو الكفل مجلسَهُ لم يَأتِهِ فلمّا عاد لبيته ليأخذَ القيلولة. دُقَّ البابُ فقال: مَنْ؟ فقال: الشيخُ الكبيرُ المظلومُ. ففتح له، فقال له: ألم أقلْ لكَ أن تأتِني في المجلس لآخذ لكَ حقَّكَ؟ فقال له: إنهَّم أخبثُ قومٍ إذا عرفوا أنّك قاعِدٌ، قالوا نعطيك حقَّكَ، وإذا قمْتَ جحدوني. وبقي لعنه اللّه يماطل في الكلام ويزيد فيه ويعيد حتّى مضت القيلولة. كلُّ هذا وذو الكفل لم يَنَمْ ليلتين ونهارين، فقال ذو الكفل: آتني صباح غدٍ آخذ لكَ حقّك. وفي اليوم الثالث لم يذهب إبليس (لَعَنَهُ اللّهُ) إلى مجلس ذي الكفل وإنّما انتظر وقت قيلولته، وبعد أن عاد ذو الكفل إلى منزله وقد شقّ عليه النعاس، فقال لبعض أهله: لا تدعَنَّ أحداً يقرب هذا الباب حتّى أنام قيلولتي فإني قد تعبتُ. فلمّا أخذَ مكانه للنوم جاء إبليس (لَعَنَهُ اللّهُ) في صورة الشيخ. فقال له الحاجب: مهلاً لا تدخل عليه. وعندما لم يسمح له بالدخول غادر، والتفَّ حول البيت ونظر من كوّة في البيت ثمّ دخل منها، فدقَّ الباب من الداخل، فاستيقظ ذو الكفل وصاح للحاجب: ألَمْ آمرك أن لا تسمح لأحدٍ بالدخول عليّ؟ فأجابه الحاجب من وراء الباب: أمّا من قبلي فواللّه لم يدخل أحد، فانظر من أين دخل. فقام ذو الكفل للباب فوجده مغلقاً من الخارج كما أغلقه، والشيخ معه في البيت، فعرفه فقال: أنت يا عدو اللّه! فقال: نعم لقد أعييتني في كلّ شيءٍ ففعلتُ ما ترى لأغضبنك. فطَرَدَهُ ولَعَنَهُ، ومن ثمّ تسلَّم ذو الكفل شؤون الناس بعد وفاة اليسع وبما تعهَّد به له وبقي حتّى مات رحمة اللّه عليه.

13 ــ خَبَرُ النَّبِيِّ دَاودَ (عليه السلام)

هو داود بن إيشار بن عويد بن عابر بن سلمون..... بن يعقوب بن اسحق بن إبراهيم الخليل (υ). ولّما تمكّن من قتل جالوت زعيم العماليق الفلسطينيين عند مرج الصفر، أحبّه بنوا إسرائيل والتفّوا حوله فخاف طالوت مَلِكُ بني إسرائيل ووالد زوجة داود على ملكه، فحاول الإيقاع به وقتلهِ، لكنّه نجا بأمر الله وحراسته.

وعمل داود في الدروع الحديدية وبرع في صناعتها، وكان يعمل كل يوم درعاً ويبيعها بستّة آلاف درهم. وقد وهَبهُ الله سبحانه صوتاً رخيماً جميلاً، فكان إذا ترنَّمَ بقِراءة كتابه (الزبور)[1] الذي أنزله الله تعالى عليه في شهر رمضان وفيه المواعظ والحكم، كان إذا ترنّم يقفُ الطيرُ في الهواء يردّد بترجيع صوته ويسبّح بتسبيحه، وقد أعطاه الله سبحانه مُلكاً عظيماً وحكماً نافذاً[2].

ومما يروى من أخباره أنّ رجلين تداعَيَا إليه في بَقَرٍ ادّعى أحدهما على الآخر أنّه اغتصبها منه. فأنكر المدّعى عليه، فأرجأ داود (υ) أمرهما إلى الليل، فلمّا كان الليلُ أوحى الله سبحانه إليه أن يقتلَ المدّعي، فلمَّا أصبح قال لهما: لقد أوحى إليّ أن أقتل المدّعي فيكما، وأنا قاتله لا محالة، فأخبرني بما ادّعيته على هذا الشخص. فقال المدّعي: والله يا نبي الله إنّي لمحقّ فيما ادّعيتُ عليه، ولكنّي كنتُ قد قتلتُ والده غدراً قبل مدّة. فأمر داود (υ) بقتل المدّعي.

ويروي ابن كثير الدمشقي عن ابن جرير عن وهب بن منبّه فيقول: لمّا كَثُرت الشرورُ، وشهاداتُ الزورِ في بني إسرائيل، أُعطي داودُ سلسلةً لفَصْلِ القضاء، فكانت ممدودةً من السماء إلى صخرة بيت المقدس، وكانت من ذهبٍ، فإذا

---

(1) قَالَ تَعَالَى:(وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً {55}) سورة الإسرءِ

(2) قَالَ تَعَالَى:(وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ {20}) سورة ص

تشاجر الرجلان في حقّ فمن كان منهما على حقّ تدلَّتْ السلسلة إليه وأمّا الآخر فلا يستطيع الوصول إليها، فلم تزلْ كذلك حال السلسلة حتّى أودع رجلٌ عند آخر لؤلؤةً، فلمّا طلبها منه أنكرها عليه، فذهَبَ ليقاضيه عند النبي داود (υ) فأمرَ بذهابهما إلى السلسلة فلمّا عرفَ الجاحدُ المنكرُ للؤلؤةِ الخَبَرَ، عَمَد إلى عكّازٍ جوَّفها وأَوْدَعَ فيها تلك اللؤلؤةَ، فلمَّا حضَرا عند الصخرة تناوَلَ المدّعي السلسلة فأمسكها، فلمّا قيل للجاحد خذها بيدك، عمد إلى العكَّاز وفيه تلك اللؤلؤة، وقال: اللّهمَّ إنّك تعلم أني دفعتُ اللؤلؤة إليه وكان قد أعطى العكّاز للمدّعي ليمسكها له، ثم تناول السلسلة فنَالها، فاحتار الناسُ بالذي قد حصلَ لأنّ المدّعي والمدّعى عليه تناولا السلسلة فلم يعرفوا الصادق منهما، ثمّ رُفِعَتْ السلسلة من بينهم ولم تعدْ موجودة.

وأمّا خبرُ وفاته رحمةُ الله وصلواته عليه، فقد ذكر يعقوب بن عبد الرحمن عن أبي هريرة أنَّ رسول الله (J) قال: كانَ داود عليه السلامُ فيه غِيْرَةٌ شديدة، فكان إذا خرج أغلق الأبواب فلا يدخل على أهله أحد حتّى يرجع. قال فخرج ذات يوم وغُلِّقت الدّارُ، ثمّ أقبلتْ امرأته تطلع فِنَاء الدار فإذا رجلٌ قائم وَسْط الدار. فقالت لَمَنْ في البيت من أين دخل هذا الرجلُ، والدارُ مغلقةٌ؟ والله لنفتضحَنَّ بداود. فجاء داود فإذا الرجلُ لا يزال قائماً وسط الدار، فقال له داود: مَنْ أنتَ؟ فقال: أنا الذي لا أهابُ الملوكَ ولا أُمنع من الحجاب. فقال داود: أنتَ والله إذن مَلَكُ الموتِ، مرحباً بأمرِ الله، ثم مكثَ حتّى قُبضَتْ روحه، فلمّا غُسِّلَ وكُفِّنَ وفُرِغَ من شأنه طلعت عليه الشمسُ، فقالَ سليمانُ ابنه (υ) للطير: أظلّي يا طيُر على نبيّ الله داود. فأظلَّتْهُ حتّى أظلمت عليه الأرض. فقال سليمانُ للطيرِ: اقبضي جناحاً. ولمّا حضرَ الناسُ جنازته وكانوا أكثر من أربعين ألف راهب جلسوا في الشمس، نادى سليمان الطيرَ أن تظلّلَ الناس من الشمس لشدّة ما أصابهم من الحّر، فتراصّ بعضها إلى بعض حتى استمسكتِ الريحُ فكاد الناس أن يهلكوا غمّاً، فصاحوا إلى سليمان فطلب من الطير أن تنتحي عن ناحية الريح، فكانت الناس في الظلّ وتهبّ عليهم الريح وقد

عـاش داود مئـة سـنة، وحكـم خلالهـا أربعـين سـنة. وذُكِـرَ داود في آيـات القـرآن الكـريم في أكثر من سورة. فقد جاء في قَولِه تَعَالَى:

W ((وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِـي مَعَـهُ وَالطَّيْـرَ وَأَلَنَّـا لَهُ الْحَدِيدَ {10} أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَـالِحاً إِنِّـي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ{11})) C سورة سَبَأَ

W وفي قَولِه تَعَالَى:

((فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَـةَ وَعَلَّمَـه مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلاَ دَفْعُ اللّهِ النَّاسَ بَعْضَـهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَـكِنَّ اللّهَ ذُو فَضْـلٍ عَلَـى الْعَـالَمِينَ{251})) C سـورة البقرة

وهذا بَعْضٌ مِنْ أخبارِ نَبِيّ اللّه دَاوُدَ عليه الصَّلاَةُ السَّلاَمُ.

والحمد للّهِ ربِّ العَالَمِيْن في كلِّ دَهْرٍ وَحِين.

openkan.com

14 ــ خَبَرُ النبِيِّ سُليمانَ بن دَاودَ (عليه السلام)

هو نبي الله سليمان بن داود (ʊ)، ورث النبوّة والمُلْك بعد والده داود، وقد كان يَعْرِفُ ما تتخاطب به الطيور بلغتها ويعبّر للناس عن مقاصدها وإرادتها بأمر الله[1]. وقد ذُكِرت قصته مع ملكةِ سَبَأَ بلقيسَ في القرآن الكريم في سورة النمل. ويذكر تعالى ما كان من أمر سليمان والهدهد، وذلك أنّ الطيور كان رأس كل منها مقدَّمون، يُقدِمون بما يطلب منهم، ويحضرون عنده بالتناوب، وأمّا الهدهد فقد كانت وظيفته أن يفتّش عن الماء في بقاع الأرض، إذا احتاجوا للماء في القفار والصحارى وكان للهدهد قوة أن ينظر إلى باطن الأرض، فإذا دلّهم عليه حفروا عنه فيجدونه.

وحصل ذات يوم أن طلب سليمان الهدهد فلم يجده ولم يحضر عنده، فتوعده بعذاب إذا لم يعطِه حجّة تنجيه من هذه الورطة. وقد غاب الهدهد غيبة قصيرة فلما قَدِمَ قال لسُليمان:

إنّي اطَّلَعْتُ على ما لم تَطّلِعْ عليه، وقد جئتُكَ بخبرٍ صادِقٍ عن امرأةٍ تحكم ببلاد اليمن وهي بلقيس بنت السيرح الهدهاد. ويقال أن والدها تزوج بامرأةٍ من الجن[2] فأنجب بلقيس، وهذه المرأة تحكم البلاد ولها عرش عظيم مزخرف بالجواهر واللآلئ والذهب وكل ما يُبهر العينَ من الحُلِيّ. وقومها كفّار يعبدون الشمس من دون الله، فأرسل سليمان كتابه إلى بلقيس يدعوها وقومها إلى طاعة الله وطاعة رسوله ونبيّه والخضوع لملكه وسلطانه، وأن يقبلوا عليه سامعين طائعين دون معاندة أو مراودة.

---

(1) قَالَ تَعَالَى: (وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ {16}) سورة النمل

(2) يُقالُ أنّ المرأةَ التي تزوّجَها والدُ بلقيس هي مِنَ الجنْ واسمُها ريحانة بنت السّكن .

فلمّا حمل الطير الكتاب لها، ودخل قصرها فألقاه إليها وهي في خلوة لها، ووقف ناحيةً قصّيةً ينتظر ما يكون من جوابها. فقامت وجمعت وزراءها وأكابر دولتها للتشاور معهم[1]، فأخذت الكتاب وقرأت عليهم أنّه من سليمان بن داود، وأنّه بسم الله الرحمن الرحيم، وقرأتْ ما فيه، وأنّهم عليهم أن يأتوه طائعين خاضعين لسلطانه. فشاورتهم في الأمر وتأدّبتْ معهم في الخطاب وهم سامعون. فأجابها بعضهم: نحن لنا من القدرة والقوّة على القتال والجلاد فإذا أردت منّا ذلك نحن نقدر عليه. وفوضوا الأمر إليها لتختار ما فيه صالحهم وصالحها.

وقد علمت أنّ سليمان مَلِكٌ قوي لا يُغَالَب ولا يُمانَع ولا يُخالَف، وأَنَّه لو غَلَبَ على هذه المملكة لم يخلص الأمرُ إلاَّ للمصيبة والشدّة. لذلك أرسلت هديةً إلى سليمان من أثمن وأجمل جواهرها، تريد بذلك أن تصانع عن نفسها وأهل مملكتها وتضمن بقاءهم سالمين مع الحفاظ على دينها ودينهم الفاسد، ولم تعلم أنّ سليمان لا يقبل منهم هدية وهم على كفرهم ماضون، وأنّه قادر بجنوده الذين وَهَبَهُ الله إياهم أن يتغلَّبَ عليها وعلى جنودها. فلمَّا وصل رسول بلقيس إلى سليمان مع الهدايا النفيسة قال له بحضور الناس: ارجع بهديتك التي قَدِمْتَ بها، فإنّ عندي ممَّا قد أنعم الله عليَّ، وأسداه إليَّ من الأموال والتحف والذهب والرجال، ما هو أضعاف هذا، وخيرٌ ممّا تفخرون به. وإنّي سأبعث إليكم بجنودٍ لا تستطيعون دفاعهم ولا نزالهم، ولأخرجنَّكم من بلدكم أذلَّةً صاغرين.

فلما عاد الرسول إلى بلقيس بما كان، بادرت وقومها إلى السمع والطاعة حيث أقبلت بلقيس مع بعض حاشيتها إلى سليمان. وبينما هي في الطريق طلب سليمان (υ) من الجان أن يحضروا له عرش بلقيس. فقال أحد الجان: إنّي أحضره لك قبل أن ينقضي مجلس حكمك، وكان المجلس يبدأ أول النهار وينقضي عند الغروب.

---

(1) : قَالَ تَعَالَى: (قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْراً حَتَّى تَشْهَدُونِ {32} قَالُوا نَحْنُ أُوْلُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ {33} قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ {34}) سورة النحل

وقال آخر وكان ذا قوّةٍ وعزيمةٍ من الجان المؤمنين: إني آتيكَ به قبل أن يرتدَّ إليك طرفك[1].

فلمّا أُحضِرَ العرش حمد ربّه وقال: هذا من فضل ربّي عليّ وفضله على عبيده ليختبرهم على الشكر أو الكفر. فأمر أن يُغيَّر حلي العرش ويُنكرَ لها بصفاته ليختبر فهمها وعقلها. فلمّا وصلت قال سليمان لها: أهكذا عرشك؟ فقالت كأنّه هو. لأنّها استبعدت أن يُجلَبَ لها عرشها من اليمن بهذه السرعة وقد تركته خلفها على غير هذه الصورة. ولأنّها كانت كافرة بالله عابدة للشمس لم تصدّق أنّه عرشها.

وكان سليمان قد أمرَ الجنّ قبل وصول بلقيس ببناء صَرْحٍ من الزجاج وجعل في ممّرهِ ماءً ووضع فوقَه زجاجاً، ووضع فيه السمك ومخلوقات البحر، فلمّا دخلتْ بلقيسُ الصَّرحَ، وسليمانُ جالسٌ على سريره كشفت عن ساقيها إذ حسبتْ أنّ عليها أن تسيرَ في الماء.

وقد قيل:أنّ الجنَّ زاد في تلك الصنعة لأنّهم أرادوا أن يبشِّعوا منظرها عند سليمان وأن تُبدي ساقيها ليرى ما عليها من الشعر فينفّره ذلك منها، وقد خشوا أن يتزوّجها لأنّ أمّها من الجنّ فتُسلَّطُ عليهم معه.

ويذكر الثعلبي أن سليمان لَّما عَزَمَ على تزوّجها سأل الإنس عن إزالة الشعر فذكروا له الموس، فامتنعت بلقيس عن ذلك، فسأل الجنَّ فصنعوا له النُّوْرة[2]، ووضعوا له الحمّام، فكان سليمان أول من دَخَلَ الحمّام. ثمّ أن بلقيس آمنَتْ بالله وتركت عبادة الشمس، فأقرّها سليمان على اليمن وردّها إليه، وكان يزورها مرّة كلّ شهر، فيقيم عندها ثلاثة أيّام ثمّ يعود على بساط الريح، وأمر الجان أن تبني

---

(1) يقصدْ قبلَ أن يرجعَ إليكَ طرفُكَ إذا نظرتَ به إلى أبعدِ غايةٍ منكَ ثُمَّ أغمضتَهُ . قَالَ تَعَالَى: (قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ {39} قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرّاً عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ {40}) النمل

(2) النُّوْرَةُ : أخلاطٌ من أملاحِ الكالسيوم والباريوم تُستعمل لإزالَةِ الشَّعْرِ.

لها ثلاثة قصور باليمن فبنوا لها قصر غمدان وسالحين وبيتون والله أعلم. وقد دام حكم سليمان (υ) عشرين سنة[1]، وعاش خمسين سنة ونيّفاً، ويُذكر أنه لمّا كان يُصلّي كانت الأشجار تنبتُ بين يديه فيسألها: ما اسمك؟ فتقول الشجرةُ كذا. فإذا كانت لغرْسٍ غرسَهَا وإن كانت لدواء تنبتُ. حتى نبَتتْ شجرة يقال لها الخَرُّوبَة. فلمّا سألها قالت: أنا الخرُّوبة. فقال: لأيّ شيءٍ نبتِّ؟ فقالت: لخراب هذا المسجد. فقال: ما كان الله سبحانه ليخرّبه وأنا حيّ. أنت التي على وجهك يكون هلاكي وخراب بيت المقدس. فنزعها، وصنع منها عصاً يتوكّأ عليها وقال: اللهمَّ عَمِّ على الجنِّ موتي حتى تعلم الإنسُ أنّ الجنَّ لا يعلمون الغيب.

ثم طلب من الجنّ أن يبنوا له صرحاً من زجاج ليس له باب. فصُنِعَ له وقام يصلّي داخله، ولم يكن يريد بذلك الصّرح الفرار من الموت وإنّما ليبقى بعيداً عن الجنّ. وبينما هو يصلي متّكئاً على عصاه من شجرة الخرّوب دخل عليه ملك الموت فقبض روحه وهو متكئ على عصاه. فمات والجنُّ تنظرُ إليه من خارج الصرح وتحسبه حيّاً، ثمّ بعثَ الله سبحانه (الأرضةَ) دابةَ الأرضِ إلى عصاه فصارت تأكلها، حتى إذا أكلتْ جوفها ضعفت العصا وثقل عليها فسقط سليمان (υ) فلمّا رأى الناسُ والجنُّ ذلك حَسَبُوا كم بقيت الأرضة تأكل العصا فوجدوه سنة، فعلم الناسُ أنّ الجنَّ لا يعلمون الغيبَ وإلاّ لما مكثوا سنة يعملون ويتحمّلون العذاب وهو ميّت رحمةُ الله عليه.

قَالَ تَعَالَى: W ((فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلا دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ)) (سَبَأ)

وهذا بَعْضٌ مِنْ أخبارِ نَبِيّ الله سليمانَ بن دَاوُدَ عليه الصَّلاَةُ السَّلاَمُ.

---

(1) يقولُ اسحقُ بن بِشْر عن محمد بن اسحق الزهري أنّ مُلْكَ سليمان كانَ أَرْبَعِيْنَ سَنَةً وأنَّه عاش خمساً وستين عاماً.

15 ــ خَبَرُ النبِيِّ يَحْيى (يُوْحَنَّا المَعْمَدَان) (عليه السلام)

هو نبي الله يحيى بن زكريا النبي صلواتُ الله عليهما، وقد أعطى الله سبحانه وتعالى زكريّا ابنه يحيى بعد تقدّمه وزوجته في السنّ كمعجزة من معجزات الله سبحانه وتعالى. وأُعطيَ النبي يحيى النبوّة وهو ابن ثلاث سنين، وكان تامَّ الخُلْقَةِ، حَسَنَ الصورةِ، قليل الشعر، مقرون الحاجبين خصَّه الله تعالى بالنبوّة والورع والخوف من الله، والزهد في الدنيا، وقد هام في حبّ الله طوال عمره، ولم يكن لعبادتهِ وزهده بيتٌ، وما ضحكَ قطٌ إلاّ مبتسماً، ولباسُه كان وبر الإبل، ومنطقُه جِلْدٌ.

وكان إذا صلّى يبكي معه المَدَرُ[1] والشجرُ، ويبكي والده لبكائه حتّى يُغشى عليه، ولم يزلْ يبكي حتّى قَطَرَ الدم من حدقتيه مرّتين. فقال له أبوه مرّةً، يا بُنيّ لقد سألتُ الله أن يهبكَ لي قرّةَ عينٍ، فما هذا البكاء الذي أنتَ عليه؟

فقال يحيى: إنّي قد سمعتُ جبرائيل (ʊ) يقول: إنّ بين الجنّة والنّار مَفَازَةً[2] لا يقطعها إلاّ كلُّ مَنْ بكى خوفاً من الله. فَقال له أبوه: **إبكِ يا يحيى ما شئتَ امتثالاً لما أُمِرْتَ به.** فلم يزل يبكي بالخشوع والتواضع إلى أن أَذِنَ القديرُ السميعُ. وقيل عَنه أنّه لبس المُسُوحَ حتى ترك جلُدهُ التنعّم بلَيِّنِ الثياب، فسألتْه أمُّهُ أنْ يلبس جُبّةً من الصوف بَدَل المِسْح، ففَعَلَ فأوحى الله سبحانه إليه: أن يا يحيى قد آثرتَ الدنيا عَلَيَّ. فبكى ونزع ما كان عليه من الصوف ولبس المِسْحَ من الوَبَرِ الخَشِنِ.

وقيل عنه أنه لمّا بلغ ستّ سنين من عمره كان يبكي مخافة الله سبحانه فيمّر به الصبيان فيقولون له: يا يحيى هَلُمَّ نلعب!

---

(1) المَدَرُ: قِطَعُ مِنَ الطِّيْنِ اليَابِسِ المُتَماسِكِ.

(2) المَفَازَةُ: المَمَرُّ الضيّقُ بينَ جَبَلَين.

فيقول: ما خَلَقَنَا اللّه سبحانه للّعب، وإنّما للعبادة والطاعة. ثمّ ينفردُ عن الأولاد ما شاء له اللّه ويتابع بكاءه، فقيل في خبره هذا عدّة أبيات تقول:

يَحِقُّ لِعَيْنِيْ تَذْرِفَ الدَّمْعَ مُذْ صَدَرْ ... حَدِيْثٌ رُوِيَ عَنْ سَيِّدِ الخَلْقِ والبَشَرْ

فَكَانَ إِذَا صَلَّى بَكَى وَعِنْدَ سُجُوْدِهِ ... يَبْكِي مَعَهُ الدَّوْحُ وَالمَدَرْ

وَيَبْكِي زَكَرِيَّا لأَجْلِ بُكَائِهِ ... وَقِيلَ شَوَاظُ[1] العَيْنِ في خدِّهِ حَفَرْ

وَقَالَ أبوهُ: قَدْ سَأَلْتُ اللهِ خَالِقِي ... يَهَبْكَ لِي يَا قُرَّةَ العَيْنِ وَالبَصَرْ

بُنَيَّ مَا هَذَا البُكَا؟ فَأَجَابَهُ: ... حَدِيْثٌ أَتَانِي عَنْ جِبْرِيلَ فِي الخَبَرْ

مِنَ اللهِ لَمَّا أَبْدَعَ الخَلْقَ أوّلاً ... خَلَقَ جَنَّةً تُدْعى، وَمِنْ بَعْدِهَا سَقَرْ

وأخبرني أيضاً أَنْ ثَمَّ مَفَازَةً ... بَيْنَهُمَا تَعْلُوْ عَلى كُلِّ مَنْ كَفَرْ

فَلاَ تُقْطَعُ إِلاَّ لِمَنْ كَانَ بَاكِيَاً ... وَلاَ يُسْكَنُ الفُرْدُوْسُ إِلاّ لِمَنْ شَكَرْ

فَيَا أَبَتي دَعْنِي وَاتْرُكْ مَقَالَتي ... وَابكِ بُكا مَنْ كَانَ عَلى الخَوْفِ والحَذَرْ

و قيل عنه أيضاً: أنّ أمّه دخلتْ عليه يوماً وهو يبكي، فقالت له: قد سألتُ اللّه أن يهبْكَ لي، فما هذا البكاء وأنتَ ما تزال صغيراً؟

فقال: يا أمّاه! كم رأيتُ من كبشٍ ونعجةٍ عند المرعى، وكم من خروف يُذْبَحُ عند السوق، لم يرحم الموتُ صغيراً. قومي وألبسيني مِسْحَاً من وَبَر، وأعطيني رغيفين من شعير حتّى أخرجَ إلى عُبَّاد بيت المقدس ليعلّموني العبادة، وشدّي وسطي بحَبْلٍ من جِلْدٍ. فقامت وفعلتْ ما قاله لها، ثم قالت له: يا ولدي! ومتى تأتيني؟

---

(1) الشواظُ: اللهبُ الذي لا دخانَ فيه، والمقصودُ هنا الدموعُ السَّاخِنَةُ الحَرَارةِ الجوفِ من الخوفِ والحُبِّ.

فقال: أقضي أسبوعي معهم وآتي كل يوم جمعة. فسار إلى أن وصل بيت المقدس، فدخل على العُبّاد وقال لهم: السلام عليكم يا أهل بيت المقدس! هل تحتاجون إلى غلامٍ يخدمكم وتعلّمونه العبادة؟

فتعجّبوا من أدبهِ وحُسْنِ حديثه، وقالوا: أهلاً بكَ، ادخلْ وابقَ معنا. فدخل، ولمّا أتى الليلُ قاموا يعبدونَ الله، ثمّ نامُوا في مضاجعهم وبقيَ هو طوال الليل يسجد ويبكي، فلمّا أصبحوا تعجّبوا من كثرة بكائه واجتهاده بالصلاة والعبادة فقالوا له: يا يحيى! إن الله عزّ وجلّ قد علّمك العبادة ولم يحوجك إلى أحد من البشر. فأقام عندهم مدّة يصّلي ويبكي ويقوم الليل، فاشتاق زكريّا إلى ولده، فخرج ليزور العُبّاد ويرى ولده، فلمّا وصل بيت المقدس، سلّم عليهم ودخل، فقالوا له: يا زكريّا، يا نبيَّ الله نرجو أن تطلع المنبر وتعلّمنا ممّا علّمَكَ الله. فقال: أخاف أن يكون ولدي يحيى بينكم فيسمعُ ما أقول، فإذا سمع قد يزداد بكاؤه ويفارق الدنيا. فقالوا: إنّ يحيى يخرج كل يوم جمعة لزيارة أمّه، فعندما يخرج اطلع على المنبر وعلّمنا.

فعلم يحيى بخبر والده، فخرج إلى البريّة ولبس ثياب راعٍ وتنكّر في حاله، ورجع إلى وسط العُبّاد والناس المحتشدين لسماع زكريا ولم يشعر به أحد. فقال زكريا: إيّاكم أن يكون ولدي يحيى بينكم.

فقالوا: لقد خرج اليوم لزيارة أمّه ولن يعود قبل صباح الغد. فبدأ زكريا يَعِظُ الناسَ فقال: إنَّ جهنم واد من نار يقال له وادي النيرانَ، وفيها جبل يقال له جبل السكران، وفيها جُبٌّ يقال له جُبّ الأحزان. فلمّا سمع يحيى هذا الكلام ثار حزنه وبكاؤه، وقال: قتلتني يا أبتِ! يا ويلتاه من وادي النيران وجبل السكران وجُبّ الأحزان. وخرج راكضاً هارباً إلى البريّة.

فقال زكريا: سامحكم الله، لقد قتلتم ولدي يحيى، ثم رجع زكريا إلى بلده، فلمّا طرق الباب قالت أم يحيى: ولدي! ما أمهلك إلى هذا الوقت؟ فلمّا انفتح الباب قال لها زكريا: جزاكِ لله بولدك خيراً. فقالت له: ما الذي أصابه؟ فقال لها: سمع بذكر ربّه فخرج هارباً إلى الله، ولا أدري أين ذهب؟

فقالت: لن يهنأَ لي بعد ولدي عيشٌ. وخرجت تبحث عنه في البراري، ذلك اليوم وغيره فلم تجده، وفي اليوم الثالث مرَّت براعي غنم وهو يبكي بكاءً عظيماً، فقالت: أيّها الراعي لماذا بكاؤك؟ فقال: إنّ في هذا الوادي مغارة فيها غلام يبكي نهاره، ولمّا يظلم الليل وتظهر النجوم ينادي بأعلى صوته: يا ويلتاه من وادي النيران وجَبَلِ السَكَران، وجُبّ الأحزان، ويجعل يبكي بكاءً عظيماً، فكيف أسمعه ولا أبكي؟! ومعه تبكي الأغنام والأشجار. فقالت: هذا والله ولدي يحيى.

فمكثت إلى أن أظلم الليل، وبانتِ النجوم، وإذ بصوتٍ خفيٍّ لا يكاد يُفْهم لكثرة بكائه والجوعِ والسهرِ والعطشِ، فَدَنَتْ منه، فلمّا رآها ولّى هارباً، فقالت له: يا ولدي! يا قرّة عيني قِفْ حتّى أحدّثَكَ. فقالَ لها: أخافُ أن تشغليني عن عبادةِ ربّي. فأقسَمتْ عليه ثانيةً. فقال لها: إنَّكِ لن تقدري أن تخلّصيني من عذاب الآخرة، وسؤال منكر ونكير. فأقسمتْ عليه بحقِّ اللبن الذي أرضعتْهُ إيّاه أن يقف حتّى تحدّثه. فإذا بهاتفٍ يقول: يا يحيى إنَّكَ أوّلُ من يجوزُ على الصراط ويدخل الجنّة. فمكث إلى أن وصلتْ أمّه إليه ورجع معها. ولم يزل يبكي حتّى حفرَتْ دموعه في خدودهِ سَوَاقياً.

ويذكر ابن جرير عن النبي يحيى (υ) وهو في حال الطفولية فيقول: إنَّ أمَّه قالت له: يا ولدي هل لك أن تقعد عند المعلّم حتى يعلّمك ممّا علّمه الله تعالى؟ فقال: نعم. ولم يكن محتاجاً إلى التعليم لأنّ الله سبحانه علّمه القراءة والكتابة وحفّظهُ الكتبَ المقدَّسةَ، ولكن قصد القعود عند المعلّم ليظهر آيات الله على يديه أمام الناس، فجاءت أمُّه إلى المعلّم وقالت: أريدكَ أن تعلّم ولدي ممّا علَّمكَ الله تعالى. فقال لها: مازال ولدكِ صغيراً ولن يتعلّم شيئاً. فقالت: دَعْهُ مع الصبيان يتعلّم على مَهْلِهِ.

فأجابها المعلم إلى طلبها، وأجلسه قريباً منه، وقالَ يا فتى قُلْ (بسم الله الرحمن الرحيم). فقالها بسهولة وطلاقة ودقّة ورشاقة، فتعجّب المعلّم من فصاحتِهِ وحُسْنِ منطقِهِ. ثمّ قال له: قُلْ (أبجد). فقال الغلام: وما تفسير أبجد؟ فنظر إليه المعلّم ثمّ قال له: قُلْ (هوّز). فقال: وما تفسير هوّز ؟ فقال المعلّم: جعل الله يومنا إلى

خير. ثمّ قال له: قُلْ (حُطّي). فقال: وما تفسيرها؟ فقال المعلم: ليت شعري ومن دَلَّكَ علينا يا فتى؟ ثمّ قال له: قُلْ (سعفص)، فقال: وما تفسيرها؟ فقال: قل (قَرَشَتْ) فقال: وما تفسيرها؟ فقامَ المعلّم وأراد أن يضربه، فأخذ القضيب من يديه وضحك وقال له: أيّها المعلّم لا تعجل فإنّ الله كريمٌ حليمٌ لا يعجلُ على عَبْدٍ عَصَاهُ. فقال المعلّمُ: يا غلامُ لقد أعجزتني. مضى لي سبع سنين وأنا أعلّم في هذه الكُتب، وما سألني أحدٌ مثلكَ. فقال له: يا معلّمي أوَتريدُ أن أفَسِّرَ لك هذه الكلمات؟ فقال المعلّم: أتعرفها؟! فقال: نعم أعرفها، وأعرف غيرها الكثير، واللّهُ أعلمُ عارفٍ بهم خيراً. فقال المعلّمُ فَرِحاً: طوبى لبطنٍ حملك وثديٍ أرضعكَ. فقال يحيى (ʊ): يا معلّمُ أتأذنُ لي؟ فقال: قلْ ما شئتَ. فقال: إنّ المتعلّم لا يكون أعلى من المعلّم، فإن أردتَ أن أعلّمكَ فانزِلْ عن الكرسي حتّى أجلس عليها، وتجلسُ موضعي وبين يديَّ. فقال المعلّم: السمعُ والطّاعة. ثم نزلَ عن الكرسي وجلس الغلام مكانه، وناولَ المعلمُ الغلامَ القضيبَ بيده، والصبيانُ ينظرون إليه مندهشين متعجّبين.

ثمّ قال يحيى (ʊ): لقد خلق الله سبحانه وتعالى آدم وحوّاء وأسكنهما الجنّة، ثمّ عصيَا ربَّهما فغضب عليهما، فهبطا إلى الأرضِ فتلقّى آدمَ مِنْ ربّه كلماتٍ فتابَ عليه، إنّه هو التوّابُ الرحيم.

فقال المعلّم: أوَتدري معنى الكلمات؟! فقال: نعم. إنّ الله عزَّ وجلَّ لمّا خلق آدم وحوّاء، ثم عصياه، وفي الهبوط قال آدَمُ: ربَّنا إن لم ترحمنا لنكوننَّ من الخاسرين. فلمّا هبط، رَفَعَ طَرْفَهُ وقال: لا إله إلاّ أنتَ سبحانكَ، تُبْتُ إليكَ، وأنتَ التّواب الرحيم. فقال المعلّمُ: حبيبي! فما تفسيرُ أبجد؟ فقال: أمّا الألف ـ أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأمّا الباء ـ فبهاء الله، وأمّا الجيم ـ فجلال الله، وأمّا الدالُ ـ فهو دينٌ زكي يخرجُ من تهامة، وصاحبه ينتهي اسمه بدَالٍ، وهو أعظم الأنبياء مكانة عليهم السلام، وهو آخرهم في الأمم. فقال المعلّم: وما تفسير هوّز؟ فقال: معنى الهاء ـ إلهاء من كفر بالله. والواو ـ وَيْلٌ لأهل النار، والزاي ـ زلَّ من كَفَرَ بالله وَجَحَدَ ما أنزل اللّهُ. وأمّا حُطّي ـ فحطَّ اللّهُ الخطايا عن التائبين لوجه الله، المخلصين له في الدين. وأمّا سعفص ـ فصَاعٌ بصَاعٍ كما تُدِيْنُ تُدَانُ. وأمّا قَرَشَتْ ـ فهو جبل محيط بالدنيا.

فوثب المعلّم وقَبَّلَ يَدَيْ الغلام وقال: أشهد أنكَ نبيٌّ ورسولٌ صادقٌ. ثمّ بعد ذلك جاءت أمّه عند العصر لتأخذ ولدها، فوجدته جالساً على الكرسي، والمعلّمُ بين يديه. فقالت: يا بنيّ لِمَ لا تتأدّب مع معلّمك؟ فقال لها المعلّمُ: إنّ ابنك هذا أعلمُ منّي وله عند الله شأنٌ عظيم فحاذري عليه الكفار الجاحدين.

فأخذتْ ولدها وهي فرحة مسرورة بما سمعت من كلام المعلّم. ثمّ وبعد أيّام قلائل أخذتْ ولدها إلى المدينة، فمرّت على صبَّاغ، فأعجبها صِبَاغُهُ، فقالت لابنها: يا بُنيَّ هل لكَ أن تقيمَ عند هذا الصَّباغ كي تتعلَّم منه حرفته؟ فقال: نعم. فتقدّمتْ أمّه إلى الصبَّاغ فقالت له: هل لك أن تعلِّم ولدي صنعتَك؟ فقال: حُبّاً وكَرَامَةً، هذا الغلامُ صبيح الوجه، ولن يأتينا منه إلاّ الخير إن شاءَ الله. فتركتْهُ ومضَتْ، ثمّ إنّ الصبَّاغَ بعد فترة هَمَّ أن يذهب لِبعضِ شأنِهِ، فقال للغلام: اجعلْ نظرَكَ على ثياب الناس، ولا تقوم بالصباغة حتى أعود. فلمّا راحَ الصبَّاغ، جَمَعَ يحيى (υ) كلّ ما كان في الدكان من الثياب ووضعهم في الخابية الزرقاء،فلمّا رجعَ الصبَّاغ ونظر للثياب رآها كلَها زرقاء، فصَرَخَ وصارَ يلطمُ على وجهه، وقال للغلام: ومَنْ أشار عليك بهذا، ثم صَاحَ بالناس: انظروا ما فعل هذا الغلام، وما أفسده عليَّ، وما أدري ما يكون عملي بعدها مع النّاس؟

فأقبَلَ الناس عليه وقالوا له: يا غلامُ من أشار عليك بهذا؟ فلم يَرُدْ جواباً عليهم، فبينما هم بذلك الحال إذ أقبلَتْ أمّه فرأَتْ الناس يتزاحمون على دكّان الصبَّاغ، فسألتْ عن الخبر فقيل لها إنّ الغلام أفسدَ ما كان عند الصبَّاغ من الثياب. فقالت لولدها: يا ولدي! لِمَ فعلتَ ذلك؟ فقال: يا أمّاهُ هذا الصبَّاغُ لا يعرف كيف يصبغ الثياب، وأنا أصبغُ أحسنَ منه.

فضحكَ الصبَّاغُ وقال: يا قومُ أمَا تسمعونَ هذا الغلامَ، قد أفسَدَ ثيابَ النَّاسِ وهو يدّعي الصنعة فقال يحيى (υ): يا قومُ، وَيَا معلِّمَ الصنعة! لا تحزن ولا تندم. نادِ الناسَ في المدينة وقُلْ: مَنْ كانَ له ثيابٌ عندي فَلْيَأْتِ كي يأخذها فإني مسافرٌ. ففعَلَ الصبَّاغُ ما قال الفتى. فأقبلَ الناسُ من كلِّ جانبٍ مسرعينَ، فلمَّا تكاملوا، قام يحيى (υ) وقال: مَنْ له علامة في ثوبه يذكرها، وأنا أعطيه ثوبَهُ على أيّ لَوْنٍ

أرادَهُ. فعند ذلك تطاولت الأعناقُ وشخَصتْ نحوَهُ الأحداقُ، ثم قامَ إليه رجلٌ وقال: يا غلامُ أريدُ أن يكون ثوبي أصفر، فتناوله يحيى ووضعه في الخابية الزرقاء.فقال له الصبَّاغُ: يا غلامُ! ليست هذه الخابية الصفراء، وإنما الزرقاء فلم يجبْ، وإنّما أخرجَهُ أصفر اللون أحسنَ ما يكون، وناوله لصاحبه فتعجّب الجميعُ، ثمّ تقدّم آخر فقال: أريد ثوبي أخضر، فَتَناوله ثمَّ وضعهُ في الخابية الزرقاء فطلَعَ الثوبُ أخضر مشرق اللون، فناوله لصاحبه، فازداد تعجّب الناس، ولم يزل هكذا حتى لم يبقَ عندهُ إلاَّ ثوبٌ واحدٌ ليهوديةٍ، فقالت: يا غلامُ! أريدُ أن يكون ثوبي أصفر فوضعه في الخابية الزرقاء، ودَفَعَهُ إليها أصفر. فقالت: أريده أحمر، فتناوله ووضعه في الزرقاء وأعاده أحمَر أحسَنَ ما يكون ثم جعلت اليهودية الملعونة تطلب منه لوناً بعد لون، وهو يفعلُ ما تقوله أمام الناس جميعاً. فلمّا أعياها ردّه إلى الخابية الزرقاء وأخرجه أبيضَ ناصعاً. فقالت: أشهدُ أنَّكَ ساحرٌ كذّابٌ. فقال لها: بل أنتِ عليكِ ألفُ لعنةٍ، إنَّكِ من اليهود، ملعونة الآباء والجدود. وقيل أنَّه آمَنَ بهِ وبنبوَّتِهِ في ذلك اليوم ألفٌ وخمسمئة شخص.

وكانَ النبي يحيى (υ) أكبر من يسوع المسيح عليه السلام سِنّاً فسألوه يوماً عن نفسه إن كان المسيحَ المنتظرَ أم لا؟ فقال: لستُ مستحقّاً أن أحلَّ سيور حذائه. ثمّ صار يعمّدُ الناسَ بنهر الأردّنِ وعندما تعمّد المسيحُ (υ) على يديهِ كان عمره ثلاثين سنة. وكانَ للنبي يحيى عليه السلام معجزات أخرى ظهرتْ على يديه بأمر اللّه عزَّ وجلَّ. وأمّا وفاته رحمةُ اللّه عليه وصلواتُه فقد أمر أحد الملوك بقطع رأسه[1] استجابة لطلب فتاةٍ تكره النبي يحيى لأنّه لم يوافقها إلى ما تريد.

---

(1): المَلَكُ هَو هيرودس الذي كانَ قد أمسكَ يوحنا المعمدان (υ)، ولّما أراد أن يقتلّهُ خافَ منَ الشعبِ، لذلك لّما صارَ وقتُ مولدِ هيرودس، رقصت شالوما ابنة هيروديا زوجة أخيه، فسرَّ وقالَ لها أطلبي ما تريدين، فطلبت رأس يوحنا بناءً على تعليمات أمها لأسبابٍ دنيئةٍ، حَيثُ قُطِعَ رأسه وَوُضِعَ في إناءٍ، وقد اِستمرَّ دمُهُ يفورُ حَتّى قُتِلَ بدمه خَلْقٌ كُفّارٌ كثيرونَ، ثُمَّ وُضِعَ رأسُهُ في صندوقٍ ذهبي ودُفِنَ مع جسدِهِ وَبُنِيَ فوقَهُ كَنِيسَةٌ ثُمَّ تحولت الكَنِيسَةُ إلى الجامعِ الأموي في عصرِ بني أمية، وما زالَ ضريحه الشريفُ يُزَارُ داخلَ الجامع حَتَّى يومنا هذا.

وقد ورد ذكر النبي يحيى ووالده زكريا عليهما السلام حيثُ قَالَ تَعَالَى:

W ((فَنَادَتْـهُ الْمَلآئِكَـةُ وَهُـوَ قَـائِمٌ يُصَـلِّي فِـي الْمِحْـرَابِ أَنَّ اللّهَ يُبَشِّـرُكَ بِيَحْيَـى مُصَـدِّقاً بِكَلِمَـةٍ مِّـنَ اللّهِ وَسَـيِّداً وَحَصُـوراً وَنَبِيّـاً مِّـنَ الصَّالِحِينَ{39} قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلاَمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ {40})) C سورة آل عمران

وفي قَولِه تَعَالَى: W ((يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيّاً {7} قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِراً وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيّاً {8} قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئاً {9})) C سورة مريم

وكذلك ورد ذكر النبي يحيى بن زكريا عليه السلام (يوحنا المعمدان) في الإنجيل المقدّس، حيث جاء في الإصحاح الثالث من إنجيل (مَتَّى):

((حِيْنَئِذٍ جَاءَ يَسُوْعُ مِنَ الجَلِيْلِ إلى الأُرْدُنِّ إلى يُوْحَنَّا ليَعْتَمِدَ مِنْهُ، وَلَكِنَّ يُوْحَنَّا مَنَعَهُ قَائِلاً أَنَا مُحْتَاجٌ أَنْ أَعْتَمِدَ مِنْكَ وَأَنْتَ تَأْتِي إِلَيَّ. فَأَجَابَ يَسُوْعُ وَقَالَ لَهُ اِسْمَحِ الآنَ. لأَنَّهُ هَكَذَا يَلِيْقُ بِنَا أَنْ نُكْمِلَ كُلَّ بِرٍّ. حِيْنَئِذٍ سَمَحَ لَهُ)).

وجاء في إنجيل(مَتَّى) الإصحاح17:

((وَسَأَلَهُ تَلاَمِيْذُهُ قَائِلِيْنَ فَلِمَاذَا يَقُولُ الكَتَبَةُ أَنَّ إِيْلِيَا يَنْبَغِي أَنْ يَأْتِي أَوَّلاً فَأَجَابَ يَسُوْعُ وَقَالَ لَهُمْ إِنَّ إِيلِيَا يَأْتِي أَوَلاً وَيَرُدُّ كُلَّ شَيْءٍ وَلَكِنِّي أَقُوْلُ لَكُمْ إِنَّ إِيْلِيَا قَدْ جَاءَ وَلَمْ يَعْرِفُوْهُ بَلْ عَمِلُوا بِهِ كُلَّ مَا أَرَادُوْا. كَذَلِكَ ابْنُ الإِنْسَانِ أَيْضَاً سَوْفَ يَتَأَلَّمُ مِنْهُمْ. حِيْنَئِذٍ فَهِمَ التَّلاَمِيْذُ أَنَّهُ قَالَ لَهُمْ عَنْ يُوْحَنَّا المَعْمَدَان)).

وهذا ما انتهى إلينا مِنْ خبرِ نَبيّ اللّه يَحْيَى بن زكريّا (υ). والحمد للّهِ وحدَهُ في كل دهرٍ وحيْن.

16 ــ خَبَرُ السيِّد المَسيح (عِيْسَى بْنُ مَرْيَمَ) (عليه السلام)

هو نبيّ اللّه وكلمتُه يسوعُ المسيحُ، عيسى بن مرْيَم العذراء، التي حَمَلت به من الروح القدس. وكانت مريمُ مخطوبة آنذاك ليوسف بن داود النجار، فلمَّا وجَدها حُبْلَى دون أن يجتمعا، وكان رجلاً كريم الأخلاق بارّاً أراد أن يتركها سرّاً دون أن يُشْهِرَها، لكنّ اللّه سبحانه أرسل له ملاكاً في حُلُمٍ يقول له: (**يَا يُوْسُفُ بْنُ دَاوُدَ لا تَخَفْ أَنْ تَأْخُذَ مَرْيَمَ اِمْرَأَتَكَ لأَنَّ الَّذِي حُبِلَ بِهِ فِيْهَا هُوَ مِنَ الرُّوْحِ القُدْسِ. فَسَتَلِدُ اِبنَاً وَتَدْعُوْهُ يَسُوْع لأَنَّهُ يُخلِّصُ شَعْبَهُ مِنْ خَطَايَاهُم). وَهَذَا كُلُّهُ كَانَ لِكَي يَتُمَّ مَا قِيْلَ مِنَ الرَّبِّ بِالنَّبِيِّ القَائِلُ، هُوَذَا العَذْرَاءُ تَحْبَلُ وتَلِدُ ابناً وَيَدْعُونَ اِسْمَهُ عَمانوئِيل الّذِي تَفْسِيْرُه اللّهُ مَعَنَا**) (الإصحاح الأول عدد 22 -23 إنجيل متّى).

ولذلك فعل يوسف كما أمره اللّه سبحانه، ثم أرسل اللّه تعالى له ملاكاً يطلب منه أن يأخذ الصبّي وأمّه إلى مصر حتى يأمره بالعودة، لأنّ الملكَ هيرودس نوى أن يَقتلَ الصبي الذي قال له المجوسُ أنّه سيكون نبياً، وملكاً، فخاف الملك على ملكه، وأراد قتل يسوع (U) وهو صبي صغير. وعندما مات هيرودس ظهر الملاك ليوسف وقال له: قمْ وخذْ امرأتَكَ والصبي وَعُدْ إلى بيت المقدس لأنّ من يطلبُ دَمَهُ قَدْ مَاتَ، ولكن لمَّا مَلَكَ أرخيلاوس بعد هيرودس خاف يوسف أن يعود إلى بيت المقدس فأوحى اللّه إليه أن ينصرف إلى نواحي الجليل، فذهب وسكن في مدينة الناصرة، فصار يسمى يسوع المسيح بالناصري.

وعاش يسوع المسيح (U) في الناصرة متعبّداً داعياً إلى عبادة اللّه حتى بلغ الثلاثين من عمره، فذهب إلى نهر الأردن حيث كان يوحنا المعمدان يعمّد الناس هناك مقرّين بخطاياهم وهو يقول لهم: يا أولاد الأفاعي! من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتي، فاصنعوا ثماراً تليق بالتوبة... أنا أعمّدكم بماء للتوبة، ولكن الذي يأتي بعدي هو أقوى مني، الذي لستُ أهلاً أن أحمل حذاءه، وهو سيعمّدكم بالروحِ القدسِ ونارٍ. الذي رفشه في يده وسينقي بيدره ويجمع قمحه إلى المخزن، وأمّا التبن

فيحرقه بنارٍ لا تطفأ. وعندما وصل يسوع المسيح (ʊ) إلى نهر الأردن ليعتمد من يوحنا حاول يوحنَّا أن يمنعه قائلاً: أنا محتاج أن أعتمد منك وأنت تأتي إليّ. ثم اعتمد يسوع وصعد من الماء، فانفتحت السماء له ورأى الجميع الروح القدس نازلاً مثل حمامة ودخلت رأس يسوع إلى كامل جسده.

وبعد ذلك حاول إبليسُ اللعين أن يجَرِّب يسوع المسيح، بعد أن صَامَ أربعين يوماً وليلةً. فتقدّم وقال له: إن كنتَ ابن الله فقُلْ أن تصيرَ هذه الحجارة خبزاً؟ فأجاب يسوع (ʊ): ليس بالخبز وحده يحيا الإنسانُ، بل بكلمة تخرج من فم الله. ثمّ سار به إبليس إلى المدينة المقدّسة وأوقفه على جناح الهيكل وقال له: إن كُنْتَ ابن الله فاطرح نفسك إلى أسفل، وإن كُنْتَ صادقاً فسوف تحملك ملائكتُهُ. فقال المسيح (ʊ): مكتوب لا تجرّب إلهك. ثمّ أخذه إبليس إلى جبل عالٍ وأراه جميع ممالك العالم ومجدها، وقال له: أعطيك هذه جميعها إن خررتَ وسجدتَ لي. فقال المسيح (ʊ): اذهب يا شيطانُ لأنّه مكتوب للربّ إلهكَ تسجد وإيّاه وحده تعبد. فتركَهُ الشيطانُ بعد أن عجز عن إغوائه وجعله يكفر بالله. ثمّ صار يسوع بعدها ينتقل بين البلاد يعظ الناس ويدعوهم للتوبة، ويقول لهم: توبوا قد اقترب ملكوت السموات، وأثناء سيره عند بحر الجليل أبصر الأخوين: سمعان وأندراوس، وكانا صيّادين، فقال لهما: هَلُمَّا ورائي فأجعلكما صيّادي الناس. فتركا الشباك وتبعَاهُ. ثمّ سار فرأى أخوين آخرين هما: يعقوب بن زبدي وأخوه يوحنّا، فدعاهما، ثم تركا والدهما والسفينة وسارا معه. وصار يطوف في الجليل يعلّم الناس ويدعوهم للإيمان ويشفي كل الأمراض، فذاع خبره وتبعته جموع كثيرة ومضى يسوع ينتقل بين البلاد فرأى في مكان الجباية رجلاً جالساً اسمه مَتَّى، فقال له: قُمْ واتبعني. فقام وتبعه ومضى ينتقل حتى اكتمال تلاميذه الاثني عشر، فدعاهم وأعطاهم سلطاناً على الأرواحِ النجسةِ حتّى يخرجوها، ويشفوا كل الأمراض وكل الضعف في الناس، وكان قد التحق به من التلاميذ غير الخمسة السابقين: فيلبّس وبرثولماوس، وتوما ويعقوب بن حَلْفي، وليّاوس، وسمعان القانوني، ويهوذا الأسخريوطي (الذي سلَّم يسوع لليهود والجنود). وتابع السيّد المسيح تجواله بين الناس يدعوهم للإيمان والتوبة، وكثرت

أخباره ومعجزاته التي أيّده الله سبحانه بها، فآمن به الكثيرون. وفي يوم خرج وجلس عند البحر فاجتمع الناسُ حولَهُ بكثرة، فدخل سفينة راسية على الشاطئ، وجلَسَ بها والناسُ واقفون على الشاطئ، وبدأ يكلّمهم بالأمثال، فقال: « **هوذا الزارع قد خرج ليزرع، وفيما هو يزرع سقطت منه بعضُ البذور على الطريق، فجاءت الطيور فأكلتها، وسقط بعضها بين الصخور حيث لا تربة كثيرة، فنبتتَ ثمّ ماتت عندما أشرقت الشمس لأنّ ليس لها أصول في التربة، وسقطت أخرى بين الأشواك فنَبَتَتْ لكنَّ الأشواك خنقتْها، وسقطت أخرى على أرض جيدة خصبة محروثة فنبتتْ وأعطتْ ثمراً**». فتقدّم منه تلاميذُه وسألوه: يا معلّمُ! لماذا تكلّمُ الناسَ بالأمثال؟ فقال: لأنّه قد أعطي لكم أن تعرفوا أسرار ملكوت السموات، أمّا لهم فلَمْ يُعْطَ. فإنّهم مبصرون ولا يبصرون، وسامعون لا يسمعون ولا يفهمون، ولكنكم طوبى لعيونكم لأنّها تبصرُ، ولآذانكم لأنّها تسمعُ، فأنتم مثل الزارع، والمزروع على الطريق هو مثل من يسمع كلام الله ولا يفهم فيأتي الشرير فيخطفَ ما قد زُرِعَ، والزرع بين الصخورِ هو الذي يسمع الكلام وحالاً يقبلُه بفرح ولكن ليسَ له أصل في ذاته يُعينه على المثابرة والصبر، فإذا حدث ضيق واضطهاد من أجل الكلمة فحالاً يتعثر ويترك ما قد سمع. والمزروع بين الشوك هو الذي يسمع الكلمة لكنّ غرور العالم وزخارفه والغنى يخنقون الكلمة، فيصير بلا ثَمَرٍ، وأمّا المزروع على الأرض الجيدة فهو الذي يسمع الكلمة ويفهم ويفتح قلبه للإيمان فيصير زرعه ذا ثمرٍ.

وفي ذات مرّة خرج يسوع المسيحُ (U) مع تلاميذه، فأبصرَ جمعاً كثيراً فتحنَّنَ عليهم وشفى مرضاهم وكانوا جياعاً، فقال له التلاميذُ: أطلقهم ليذهبوا ويبتاعوا طعاماً فالمكانُ قَفْرٌ والوقتُ مساء. فقال لهم: أعطوهم طعاماً ليأكلوا. فقالوا: ليس معنا إلاّ خمسةُ أرغفةٍ وسمكتانِ. فقال: أحضروها إليّ فأحضروها. فأخذها بين يديه ورفعها نحو السماء وباركها، وأعطاها للتلاميذ وقال لهم: قسّموها بين الناس وأطعموهم. فأكل الجميع وشبعوا وكانوا قرابة الخمسة آلاف شخص ما بين رجلٍ وامرأةٍ وطفلٍ، وذلك بفضل الله ورحمته، ورفعوا من الكَسْرِ من الخبز اثنتي عشرة قُفّة.

وحدث ذات يوم أن كان التلاميذ في السفينة وقال لهم يسوع المسيح: اسبقوني وسوف ألحق بكم فساورا بينما صَعَدَ هو الجبل منفرداً يصلّي وسارتِ السفينة وسط البحر والموج يلاطمها ،وفي آخر الليل مضى يسوع إليهم ماشياً على الماء، فلمّا أبصره التلاميذ اضطربوا وقالوا:

إنّه خيال ومن الخوف صرخوا، لكنّ يسوع كلَّمَهُمْ مشجِّعاً: لا تخافوا أنا هو يسوع، لا تخافوا، فأجابه بطرس (سمعان): يا معلّم إن كُنْتَ هو فمُرْني أن آتي إليك على الماء. فأمَرهُ فنزلَ بطرسُ ومشى على الماء ليأتي إلى يسوع، ولكنّ بطرس لمّا رأى الريح شديدة خاف، وإذ به صار يَغْرَق فقال: يا ربّ نجِّني. فمدّ يسوع يده وأمسك به وقال له يا قليل الإيمان لماذا شككتَ. فسار معه إلى السفينة حيث هدأت الريح واستقرّت السفينة.

وقيل خرج السيد المسيح (υ) يستسقي بالناس، فأوحى الله تعالى له: لا تَسْتَسْقِ بهم ومعك مذنبون، فأخبرهم بذلك، ونادى فيهم: مَنْ كان معنا من أهل الذنوب والخطايا فليعتزل. فاعتزل الناسُ جميعهم إلاّ رجل مصاب بعينه اليمنى، فقال له: لِمَ لا تعتزل مع الناس؟ فقال: يا روح الله وكلمته! اعلمْ أني لم أكن قد عصيتُ الله طرفةَعين، وقد اِلْتَفَتُّ يوماً فنظرت عيني إلى قَدَمِ امرأةٍ فقلعتُها، ولو كنتُ نظرتُ بالأخرى لقَلَعتُها. فقال المسيحُ له وقد رفَع رأسه إلى السماء: اللهمَّ إنَّكَ خلقتنا، وتكلَّفْتَ برزقنا، فأرسل السماءَ علينا مدراراً. فما استَتْمَمَ دعاءه حتى أتتِ السماء بالغيثِ. وأمّا خبر رفع السيد المسيح إلى الله سبحانه وتعالى فقد ورد في القرآن الكريم في قَولِه تَعَالَى:

W ((وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ {54} إِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ {55})) C سورة آل عمران

W

وفي قَولِه تَعَالَى:

((وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً {157} بَل رَّفَعَهُ اللّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزاً حَكِيماً {158})).

C

سورة النساء

حيث تدلُّ هذه الآياتُ على أنَّ المسيحَ عليه السلام، رُوحَ اللّهِ وكلمتَه التي ألقاها إلى مريمَ العذراء لم يُقتلْ ولم يُصْلَبْ وإنَّما قُتِلَ شبهُهُ وصُلِبَ بدلاً عنه على الصليب، وهذا الأمر لم يَفْطَنْ له إلاّ المؤمنون الحقيقيون باللّه وبالمسيح، وأمّا الذي لم ينغرس الإيمان في قلبه فلم يَدْرِ حقيقةَ الأمرِ وضاعَ مع أمر اللّه الذي حَجَبَ الحقيقة عن قُساةِ القلوبِ والعقول. ويذكر ابن حاتم عن ابن عباس قوله: «**لمّا أرادَ اللّه سبحانه أن يرفعَ المسيحَ عيسى بن مريمَ إليه وأوحى إليه يخبره بما هو كائن، خرج المسيحُ إلى أصحابه وكانوا في البيت اثنا عشر رجلاً فقال لهم: إنّ منكم مَنْ يكفر بي اثني عشرة مرّة بعد أن آمن بي، أيُّكم يُلقى عليه شبهي فيقتَل مكاني فيكون معي في درجتي؟ فقام شاب من التلاميذ وهو أحدثهم سنًّا فقال له: اجلس. ثم أعاد عليهم فقام الشاب فقال له: اجلسْ ثم أعاد فقام الشاب: فقال له: أنت هو ذاك. فألقى عليه شبه عيسى، ورُفِع عيسى من روزنة البيت إلى السماء، فدخل اليهود وأخذوا الشبيه فقتلوه وصلبوه**». وقد كثرت الأقوال والأخبار عمّن أُلقيَ عليه الشبه، حيث يذكر بعضهم أن المسيحَ (υ) ألقى الشبه على يهوذا الاسخريوطي الذي سلّم يسوع للكهنة والجنود، وعندما دخل الجنود وجدوا يهوذا على صورة يسوع المسيح فأخذوه وهو ينكر أنّه هو، ثم صلبوه وقتلوه. واللّه أعلم.

وأمّا ما جاء في الكتاب المقدّس حول رفع السيد المسيح فقد جاء في إنجيل (متّى) أنّ الاسخريوطي سلّم يسوع إلى الجنود مقابل ثلاثين ديناراً فضّةً ثمّ أقبل الجنود فأخذوا يسوع إلى (قيافا) رئيس الكهنة حيث اجتمع الكتبة والشيوخ

فتناقشوا في أمره وتشاوروا، وقرروا إرساله إلى بيلاطس النبطي الذي سجنه، وكان ما لاقاه من تعذيب عسكرِ الوالي بيلاطس وسخريتهم منه، ثم وضعوه على الصليب من الساعة السادسة حتى الساعة التاسعة ثمّ غطّت الأرض ظلمة شديدة، ثم صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً: إلهي إلهي لماذا تركتني؟ ثمّ أسلم الروح. ثم تقدّم رجلٌ غني من الرّامة وكان تلميذاً ليسوع واسمه (يوسف) وطلب أخذ جسد يسوع، فأخذه ولفّه بكتّان نقي ووضعه في قبر نحتَه في الصخر، وبعد ثلاثة أيام قام السيد المسيح من بين الأموات، وقد ظهر الملاكُ لَمَنْ ذهب إلى القبر ليرى ما قاله المسيح قبل صلبه من تسليمه وصلبه وموته وقيامته في اليوم الثالث، فقال الملاكُ: لا تخافوا، أعلمُ أنّكم تطلبون يسوع المصلوب. ليس هو هنا، لأنّه قام كما قال. وأخبر التلاميذ أن يذهبوا إلى الجليل لأنّه سبقهم إلى هناك. فانطلق التلاميذ الأحد عشر إلى الجليل (لأنّ يهوذا الاسخريوطي قتلَ نفسَه بعد أن سلّم يسوع نَدَماً) فلمّا رأوه سجدوا له، ولكنّ بعضَهم شكّ فتقدّمَ يسوعُ وكلّمهم قائلاً: رُفِعَ إليّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض، فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم ثمّ أُصْعِدَ عليه السلام إلى السماء. وإن كان في طريقة رفع السيد المسيح إلى السماء اختلاف بين القرآن الكريم والإنجيل، فإنّ الاختلاف ظاهري وشكلي، بينما جوهرياً فكلاهما متّفِقَانِ أنّ السّيد المسيح رُوْحَ اللّه وكلمَتُه لم يَمُتْ وإنّما رُفِعَ إلى السماء، وهو حيّ باقٍ في جوار ربّه إلى أن يشاء اللّه سبحانه وأنّه سينزِلُ في آخر الزمان ليقيمَ مملكةَ العدلِ والحقِّ ويقتلَ الدَّجّالَ وينشر العدلَ في الأرضِ بعد أن تكونَ قد امتلأتْ ظلماً وجوراً.

وهَذَا غَيْضٌ مِنْ فَيْضِ أخبارِ نَبِيّ اللّه السَّيِّد المَسِيْح عَلَيْهِ السَّلاَمُ.

والحمد للّهِ وحدَهُ لا شريكَ له، لَهُ الحمدُ ولهُ المُلْكُ وهوَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ.

17 ــ خَبَرُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ (خَاتِمِ الأَنْبِيَاءِ) (ﷺ)

هو محمد بن عبد الله بن عبد المطّلب بن هاشم. آخر الأنبياء والرسل الكرام عليهم جميعاً الصلاة والسلام. وُلِدَ عام الفيل[1] وقد توفي والده عبد الله وهو ابن شهر فكفله جدّه عبد المطّلب، وأمّه آمنة بنت وهب، ثم كفله عمّه أبو طالب بعد وفاة جدّه. عاش بين قومه ورعى الغنم، وعُرِفَ بينهم بكريم الأخلاق والصفات التي منحه الله إيّاها، وأهَّلَتْهُ لتحمّل أعباء الرسالة والنبوة التي كلَّفَه بها ربُّ العزّة والجلالة.

نزل الوحيُ عليه وكان له من العمر أربعون سنة، وحسب ما ذكر ابن كثير الدمشقي فقد قُرِنَ بنبوّته إسرافيل ثلاث سنوات فكان يعلّمُهُ الكلمة والأشياء المطلوبة من النبي والرسول، ولم ينزلِ القرآن عليه حتى مضت ثلاث سنين، فقُرِنَ بنبوّتهِ جبريل (υ) فنزل القرآن على لسانه عشرين سنة، عَشْرَاً بمكّة وعَشْرَاً بالمدينة المنوّرة.

وفي خبر الإسراء به من مكّة إلى بيت المقدس يذكر عبد الله بن مسعود: أُتي رسول الله محمد بن عبد الله (J) بالبُرَاق، فحُمِلَ عليها، والبُرَاق هو الدابَّة التي كانت تُحَملُ عليها الأنبياءُ قبله، وهي تضع حافرها في موضع منتهى طرفها. وبعد أن حُمِلَ الرسول على البُراق خرج به جبريل (υ) يريه الآيات بين السماء والأرض حتى انتهى إلى بيت المقدس فوجد فيه إبراهيم وموسى وعيسى ونفر من الأنبياء عليهم السلام قَدْ جُمِعوا له، فصلَّى بهم، ثم أُتَي بثلاثة آنية من لبنٍ وخمرٍ وماءٍ. فشرب من إناء اللبن، فقال له جبريل (υ): هُدِيَتْ أمّتُكَ، وحُرِّمَتْ عليكم الخمر. ثمّ انصرف إلى مكّة بمثل ما جاء، فلمّا أصبح يخبر قريشاً بذلك كَذَّبَهُ أكثرُالناس، وبادر المؤمنُ المصدّق إلى التصديق. وقد ذكر لهم آيات حصلت معه أثناء الإسراء به، فقال

---

(1) عَامُ الفيل هو العام الذي غزا فيه أبرهة الحبشي مكة يريدُ هَدْمَ كعبتها لكنّ الله سبحانه ردّه خائباً وأرسل عليه طيوراً أبابيل فألقت على جيشه حجارة من سِجِّيل، وكان ذلك في عام (577) م . وَوُلِد الرسولُ الكريمُ في 12 ربيع الأول من هذا العام، وسُمّي عَامَ الفيل لأنَّ أبرهة كان يركبُ فيلاً ضخماً.

لهم أنّه وبينما كان يقطع الصحراء على ظهر البراق إذ مرّ بقوم مسافرين في قافلة وقد أضاعوا بعيراً لهم فدلّهم على مكانه من السماء، وكان القوم متوجّهين إلى مكّة ولمّا وصلوا إليها سألهم سادة قريش عن خبر البعير الضائع والصوت الذي دلّهم على مكانه فأجابوا بالإيجاب، لكن ورغم ذلك أبى الكفّار تصديق قول الرسول الكريم.

ويذكر ابن اسحاق عن معراج الرسول محمد (J) فيقول: سمعت بالمعراج ولم أرَ شيئاً قطّ أحسن منه، والمعراج هو الذي يمُدُّ إليه ميِّتُكم عينيه إذا حضرته الوفاة، فأصعدني فيه جبريل (U) حتى انتهى بي إلى بابٍ من أبواب السماء يُقَالُ له (بابُ الحَفَظَة) عليه بَرِيْدٌ[1] من الملائكة يُقَال له (أسماعيل)، تحت يده اثنا عشر ألف مَلَكٍ، تحت يد كل منهم اثنا عشر ألف مَلَكٍ. ثمّ صُعِدَ بي من سماء إلى سماء حتى جاوزتُ السابعةَ.

ويذكرُ ابنُ اسحاق أنَّ الرسولَ الكريمَ كان كلّما جاء سماءً تلقَّتْهُ منها مقرّبوها من أكابر الملائكة والأنبياء، فرأى آدمَ (U) في سماء الدنيا ويحيى وعيسى (U) في الثانية، ويوسف بن يعقوب (U) في الثالثة، وإدريس (U) في الرابعة، وهارون في الخامسة، وموسى في السادسة، وإبراهيم (U) في السابعة مُسْنِداً ظهره إلى البيت المعمور الذي يدخله كلَّ يومٍ سبعونَ ألفاً من الملائكة يتعبّدون فيه صلاةً وَطَوافاً ثمّ لا يعودون إليه إلى يوم القيامة. ثمّ جاوز مراتبهم كلَّهم حتّى ظهر لمستوى يسمع فيه صريفَ الأقلام[2]، ورُفِعَتْ له سَدْرَةُ المنتهى[3] وإذا ورقها كآذان الفِيَلَةِ، ونبقها كقلال هجر[1] وغشيها عند ذلك أمور عظيمة وألوان متعدّدة باهرة، وركبتها الملائكة مثل الغربان على الشجرة كَثْرَةً، وفَراشُ من ذَهَب، وغشيها من

---

(1) : البَرِيْدُ: هو الملاكُ المُكَلَّف بحَمْلِ الرَّسَائِلَ .

(2) صَرِيفُ الأَقْلاَمِ: صَوْتُها، والمقصودُ هنا صَوْتَ أقلامِ القدرةِ وهي تَخُطُّ على اللَّوْحِ المَسْطُوْرِ .

(3) سَدْرَةُ المنتهى: شجرَةٌ عظيمةٌ في الجَنَّةِ، وثَمَرُهَا يُسَمَّى النَّبْقُ.

(1) قِلاَلُ هَجَر : الجِرَارُ الكبيرَةُ المَنْسُوبَةُ إلى مدينةِ هَجَر في البحرين .

نور الربّ جلّ جلاله. وهناك رأى محمّدٌ (υ) جبريلَ عليه السلام للمرّة الثانية على الصورة التي خلَقَهُ اللّه تعالى عليها، فكان له ستمئة جَنَاح ما بين كل جناحين كما بين السماء والأرض[2]. وفَرَضَ اللّه سبحانه عندها على عبده محمّد (J) وعلى أمَّته الصلوات خمسين صلاة في كلّ يوم وليلة، فدَعَا محمد ربَّه ليخفِّف عنه وعن أمته فقبلَ منه سبحانه حتى وضعها خمس صلوات في اليوم. وقد حصل له التكليمُ من الربِّ عزّ وجلّ بفؤاده، ولم تكن الرؤية بالعين. لأنّه كما روى أبو ذرّ الغفاري (رضي اللّه عنه) عندما سأل الرسول (J) بعد الإسراء والمعراج إن كان رأى اللّه، فأجابه الرسولُ: (نورٌ أنَّى أراه).

وبعد فرض الصلاة في السماء السابعة هبط النبي محمّد إلى بيت المقدس، وأُهبِطَ معه الأنبياءُ تكريماً له وتعظيماً عند رجوعه من الحضرة الإلهية العظيمة، ثمّ تقدّمهم فصلّى بهم إماماً عن أمر جبريل عن أمر ربّه عزّ وجلّ، ثمّ خرج من المسجد الأقصى وركب البُراق وعاد إلى مكّة فأصبح بها وهو على غاية من الثبات والوقار والسّكينة وقد عَايَنَ في تلك الليلة من الآيات والأمور التي لو رأى بعضَها غيرُه لأصبحَ طائشَ العقلِ، لكنّ رسولَ اللّه أصبح واجماً ساكتاً يخشى أن يخبر قومه فيكذّبوه، وعندما جمعَ أبو جهل سادة قريشٍ ليخبرهم رسول اللّه بما أخبره من شأن الإسراء به والمعراج، قصَّ محمّد عليهم خبره فلم يصدّقوه، وسأله المشركون يريدون إحراجه عن بيت المقدس ولم يكن رآه من قبل كما يعلم الجميع، فصار يخبرهم عن صفاته، فالتبس عليه بعض الشيء، فجلَّى اللّه تعالى له بيت المقدس أمامه فصار ينعته بدقّة. ثمّ كان من وصول قافلة الشام التي أضاعت بعيرها وسمعت الصوت الذي يرشدهم مكانه تصديقاً لقصّته، والقافلة التي شرب

---

(2) قَالَ تَعَالَى:(وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى **{13}** عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى **{14}** عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى **{15}** إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى **{16}** مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى **{17}** لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى **{18}**) النجم .

من مائها أثناء إسرائه فآمَنَ به من آمن على يقينٍ من ربِّه، وكَفَر مَنْ كَفَر بعد قيام الحجّة.

وعند زوال شمس صبيحة الإسراء، جاء جبريل (U) إلى محمّد فبيّن له كيفيةَ الصلاةِ وأوقاتها، وأمر رسول الله أصحابه فاجتمعوا وصلّى به جبريل (U) والمسلمون يقتدون ويأتمّون بالنبي.

وأمّا بخبر نزول القرآن على النبي محمّد (J) فيذكر الحافظ أو نعيم عن ابن عباس قوله: كان الجِنُّ يصعدون إلى السماء يستمعون الوحيَ، فإذا حفظوا الكلمة زادوا فيها تِسْعَاً، فأمّا الكلمة فتكون حقّاً، وأمّا ما زادوا فيكون باطلاً. فلمّا بُعِثَ النبي محمّد (J) مُنِعُوا مقاعدهم في السماء فذهبوا وذكروا ذلك لإبليس، وأنّهم كلمّا حاولوا الصعود لاستراق السمع كانوا يُرْمَوْنَ بالنجوم الحارقة[1] فقال لهم هذا الأمر لا يكون إلاّ لَحَدَثٍ عظيم في الأرض. ثمّ بعث جنوده فوجدوا رسول الله (J) قائماً يصلّي بين جبلين، فعادوا فأخبروا إبليس فقال لهم: هذا هو الأمر الذي حصل في الأرض ومن أجله منعتم مقاعدكم، فقد بُعِثَ نبيٌّ يحاربنا، وعلينا العمل ضدّه.

ثمّ إنّ الشياطين والجِنَّ مرَّتْ بالرسول وهو يصلّي بقومه صلاةَ الفَجْرِ، فلمَّا سمعوا القرآنَ استمعوا له فقالوا: هذا القرآن هو الذي حَالَ بيننا وبين خَبَرِ السماء، فرجعوا إلى قومهم فقالوا لهم: لقد سمعنا قرآناً عجيباً يهدي إلى الإيمان والرشدِ والهدايةِ فآمنَّا به، فأَوحى الله سبحانه إلى نبيِّهِ بخبرِ الجنّ وَمَا كان من أمرهم. جاء في قَولِه تَعَالَى: W

---

(1) : قَالَ تَعَالَى:(وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاء فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَشُهُباً {8} وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَّصَداً {9}) (الجن).
قَالَ تَعَالَى أيضاً: (وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ {210} وَمَا يَنبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ {211} إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ {212}) (الشعراء) .

((قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً {1} يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً {2})). C سورة الجنّ

وكان لكلّ قبيلة من الجنِّ مقاعد للسمع فإذا نزل الوحي سمعت الملائكةُ صوتاً كصَوْتِ الحديدة على الصخرةِ الصمَّاءِ. فإذا سمعتِ الملائكةُ الوَحْيَ خَرُّوا سُجَّداً فلم يرفعوا رؤوسهم حتى ينزلَ، فإذا نزلَ قال بعضهم لبعضٍ: ماذا قال ربُّكم؟ فإنْ كانَ ممَّا يكون في السماء قالوا الحقَّ وهو العليُّ الكبير. وإن كانَ ممّا يكون في الأرض من أمر الغيب أو موتٍ أو شيءٍ ممّا يكون في الأرض تكلّموا به، فقالوا: يكون كذا وكَذَا. فتسمَعه الشياطينُ فينزلون على أتباعهم ويخبرونهم بما يكون. ولكنْ عند نزول القرآن الكريم بالوحي على النبي محمّد، مُنِع الجِنُّ من استراق السمع وَرُمُوا بالنجوم. فرأى النَّاسُ النجوم تتهافت وتتحرّك في كل اتجاه. فخاف الناس وظنُّوا أنَّه يومُ الفَنَاء، فسَيَّبُوا أنعامهم وأعتقوا عبيدهم. وذَهَبَ أهل الطائفِ إلى عبدياليل بن عمرو بن عمير، وكان عَرَّافاً بينهم فقال لهم: وَلِما فعلتم ما فعلتُمْ؟ فقالوا رأينا النجوم تُرمى وتتهافت من السماء. فقال: إنْ كانت هذه النجوم ممّا تعرفونه وتعهدونَ مكانَه فالأمرُ فيه فَنَاء النَّاس، وإن كانت نجوماً لا تعرفونها فهي لأمرٍ عظيمٍ قد حَدَث. فنظر منهم مَنْ يعرف النجوم وأحوالها فوجدوها غير معروفة. فقال لهم: ذلك إذاً لأمرٌ عظيم، وأظنُّه ظهور نبي ونزول الوحي عليه.

ثمّ أنّ الشياطين لمّا شكت أمرها إلى إبليس وما حصل معها، وقد ذهبت تفتّش عن النبي الذي ظهر، فبحثوا في أرض بني إسرائيل فلم يعثروا عليه، فذهب إبليسُ بنفسه إلى مكّة فإذا برسول الله (J) بغار حَرّاء منحدراً ومعه جبريل (υ)، فاقترب إبليس (لَعَنَهُ اللّهُ) يحاول إيذاء الرسول ورَمْيِهِ عن الجبل، فضربه جبريل (υ)، فطرحه أرضاً فولّى هارباً. فذهَبَ إلى أتباعه فقال لهم: إنّه لا سبيل لي إلى ذلك النبي، فإنّ الله يحميه ويحرسه، فما السبيل؟

فقالوا: ليس لَنَا إلاّ أتباعه وأصحابه فنعمد إلى تزيين الشهوات في عين أصحابه ونحبّبهم الدنيا، فيطيعونه فترة ثمّ لمّا يموت يقعون فيما يُلْهِيهم عن دينه، فيحفظون القرآن ولا يعملون به ويبنون المساجد ويكثرون منها ولا يدخلونها فيكون ما تريد وتشتهي. فقال: هُوَ ذاك.

وهذا ما حصل حيث ابتعد المنافق بإيمانه، والضعيف الإيمان عن دين محمّد (J) بعد أن أدّى ما عليه من أمانة وبلّغ الناس في حجّة الوداع أنّه مفارقهم ودعاهم للتمسّك بالقرآن الكريم قولاً وعملاً، وأخبرهم آخر ما أُنزل عليه قَالَ تَعَالَى:

W ((الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً)). C سورة (المائدة)

ثمّ جاءه الحقُّ من ربّه فلبَّى النداء آمِنَاً مطمئنّاً أنّه ترك في الناس مَنْ يحفظون دين الله ويعملون بأمره وينصرون الحق ويقهرون الباطل.

وهذا بعضٌ مِنْ أَخْبَارِ رَسُوْلِ الله وخاتم أَنْبِيَائِهِ محمّدٍ بنِ عَبْدِ الله صَلَّى الله عليه وسلّمَ. والحمدُ لله ربِّ العالمين.